شباب الصحابة

رضوان الله عليهم

محمد بن عبد الله الدويش

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده ا لله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:-

فيتطلع اليوم جيل الصحوة المبارك وهو يسعى لبناء نفسه وتربيتها إلى نماذج ومثل يقتدي بها، والافتقار للقدوة فطرة في النفس الإنسانية إذ يترك النموذج العملي والصورة الحية من الأثر في النفس ما لا يتركه الخطاب النظري المجرد.

ولأجل ذلك جاء الحديث عن القصص في القرآن الكريم كثيراً، وجاء الأمر بالاعتبار والاتعاظ بها ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ (يوسف:٣)﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ (يوسف: ١١١).

وما كان اختيار ا لله سبحانه وتعالى ذاك الجيل الأول ليكون فرطاً[١] للأمة، وحاملاً للرسالة- لم يكن هذا الاختيار عبثاً، كما قال ابن مسعود -رضي ا لله عنه- «إن ا لله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند ا لله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند ا لله سيئ»[٢].

وكما قال ابن عمر -رضي ا لله عنهما- :«من كان مستناً فليستن بمن قد

---

(١) فرط فروطاً سبق وتقدم، والفرط: المتقدم في طلب الماء (انظر:معجم المقاييس ٤٩١/٤، واللسان ٣٦٧/٧)
(٢) رواه أحمد ٣٧٩/١ (٣٥٩٩)

مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة»[١].

فما أحوج شباب الأمة اليوم للعودة إلى تاريخ أسلافهم وقراءة سيرهم، وبالأخص سير الشباب منهم ليقارن حاله بحالهم، وليعرف ماكان عليه أولئك فيسعى للتشبه والاقتداء بهم فمن تشبه بقوم فهو منهم.

ومن هنا جاءت هذه المحاولة لفتح صفحة من حياة شباب أصحاب النبي ﷺ وإبرازها أمام شباب الصحوة وجيلها المبارك.

ففي هذا البحث المتواضع قمت بجمع سير شباب أصحاب النبي ﷺ ، وأخذ الدروس منها، وسرت فيه على الخطوات الآتية:-

أولاً:- اعتبرت في ذلك من لم يتجاوز (٢٥) سنة، واخترت هذه المرحلة لأنها في الأغلب تمثل في وقتنا الحاضر سن الشباب الذين يعيشون في مراحل التعليم، والذين هم المخاطبون بهذه السلسلة[٢] .

ثانياً:- قمت باستعراض كتاب الإصابة، والطبقات، وسير أعلام النبلاء، واستخراج من ينطبق عليه هذا الشرط، وأوردت في نهاية البحث قائمة مختصرة بأسمائهم، وما يدل على كونهم ضمن هذه المرحلة.

ثالثاً:- قمت بالبحث في كتب السيرة والسنة عن مواقف هؤلاء وتصنيفها موضوعياً، وقد حرصت قدر الإمكان على أن تكون المواقف الواردة مما يغلب على الظن أنها حدثت أثناء هذه المدة، بالاعتماد على حوادث السيرة المؤرخة، أما ما

---

(١) أخرجه ابو نعيم في الحلية (١/٣٠٥-٣٠٦)

(٢) وقد يرى البعض رأياً آخر في تحديد السن، وستبقى المسألة ليست محل اتفاق، والأهم في نظري أن يحدد الباحث اصطلاحاً واضحاً ويلتزمه.

كان خالياً من الإشارة إلى الفترة فمن كان غالب حياته مع النبي ﷺ في هـذه الفـترة اعتمدت هذه الروايات، ومن كان بخلاف ذلك لم أعتمد منها إلا مـا دلـت القرائـن على دخوله ضمنها.

رابعاً:- التزمت في الروايات والأحاديث المرفوعة ألا أورد إلا ما وجدت نصـاً لأحد أئمة الحديث المعتبرين علـى تصحيحـه - واعتمـدت كثيراً علـى تصحيحـات الألباني- وتركت الإشارة لذلك اختصاراً.

أما فيما يتعلق بوفيات الصحابة وأعمارهم فقد اكتفيت بما نـص عليـه علمـاء السير والتراجم، ما لم يكن لذلك معارض أقوى منه، إذ يصعب في مثل ذلك الـتزام منهج المحدثين[١] .

خامساً:- حيث إن المقصود ليس سرد الروايات فقـط فقـد رأيـت في التعليـق عليها وأخذ الدروس أن لا أفصل الدروس بنقاط مرقمة بل أدمجهـا وأسـوقها مسـاقاً واحداً محافظاً على استقلال نصوص الروايات؛ ولهذا جاءت العبر والتوجيهات مفرقة في ثنايا البحث.

سادساً:- حيث إن مثل هذا البحث يتطلب جهداً ووقتاً وخـبرة أشعر أن مـا بذلته لا يتناسب مع ذلك فلابد أن يكون هناك قصـور وتجـاوز وخطـأ، وأنـه مهمـا بقيت لدي مسودة البحث فلن أتوقف عن التعديل والحذف والإضافة، بل إني أجزم أنه ستكون هناك ثغرات وأخطـاء وقصـور، فالمـأمول مـن إخوانـي القـراء المشـاركة بالملاحظة والتأييد حتى يخرج هذا البحث بصورة أفضل.

سابعاً:- لاشك أن الدعـوة المحمديـة كـانت للنـاس كافـة، الرجـال والنسـاء، والشيب والشباب، والصغار والكبار، ونحن إذ نفتح هذه الصفحة من سير أصحـاب

---

(١) انظر في تفصيل الموقف من مرويات السيرة: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٣٩-٤٠)

النبي ﷺ لا يعني أن نهمل سير الباقين ممن كان لهم في نصرة الإسلام قدم راسخة، وفضل وسبق لا ينكر، إنما هي محاولة لتسليط الضوء على هذا الجانب الذي يحتاجه شباب اليوم حاجة ماسة.

وفي الختام أسجل شكري وتقديري للإخوة الأفاضل الذين أعانوني على هذا البحث فأسأل الله أن يثيبهم وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم إنه سميع مجيب، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه وأن يحقق الثمرة المرجوة منه.

محمد بن عبدالله الدويش

ص ب ٥٢٩٦٠ الرياض ١١٥٧٣

الرياض ١٤١٧/٣/٢١هـ

لماذا سير شباب الصحابة؟

لاشك أن قراءة المرء في سير الصالحين وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ أمر لا يجادل مجادل في أهميته وضرورته، لكن قد يتساءل متسائل: وما قيمة تخصيص الحديث والبحث بالشباب دون سائر الصحابة؟

وهو تساؤل جدير بأن يجاب عليه في بداية هذا البحث.

إن البحث في ذلك له نتائج عدة منها:-

أولاً:- أن الشاب قد يرى نفسه على حال من الصلاح والتقوى والعبادة أو الاجتهاد في طلب العلم الشرعي أو الجهاد في سبيل الله عز وجل، أو أي عمل آخر، ويرى أنه قد فاق أقرانه وأنه قد جاوز ما عليه كبار السن والرجال، فقد يكون ذلك مدخلاً للشيطان ليوقع في نفسه العجب والبطر، وهذا عنوان الهلاك وبداية الضلال حمانا الله منه.

لكنه حين يقرأ سير القوم ويطلع على أحوالهم يدرك أنه مهما فعل فهناك من فاقه وسبقه فيحتقر نفسه وعمله ويتطلع للمزيد.

بل كيف يعجب الشاب بعمل ويدل به على مولاه سبحانه، وهو يعلم أن النبي ﷺ لن ينجيه عمله كما قال:«لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، وسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» [(١)].

ثانياً:- أن قراءة السير والأمثلة الواقعية لها الأثر الفعال في النفوس، إذ هي نماذج أكثر رسوخاً وتأثيراً، وليس أدل على ذلك من كثرة إيراد القرآن الكريم

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦)

لقصص الأنبياء والأمم السابقة، وفيها النماذج الضالة للحذر منها، وفيها النماذج الخيرة للتأسي بها، كما ذكر القرآن قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، وقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود.

وكما ذكر النبي ﷺ قصة التائب من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، وقصة أصحاب الغار، وقصة الغلام المؤمن، وغيرها كثير.

ثالثاً:- سيطرت على مجتمعات المسلمين النظرة الدونية للشباب واحتقارهم، واعتبارهم كالأطفال لاوزن لهم ولاقيمة، وهي قضية لن تحتاج إلى عناء لاكتشافها والتعرف عليها، فيكفيك لإدراك ذلك المشاركة في مناسبة اجتماعية، أو زيارة أحد الآباء في منزله، لتدرك من ذلك كيف ينظر المجتمع إلى الشباب ويتعامل معهم.

وينعكس أثر هذه النظرة على الشباب أنفسهم فيضعون أنفسهم حيث ينظر الناس إليهم ويطول أمد الطفولة والصبوة لديهم.

لذا فإن قراءة الآباء لسير شباب أصحاب النبي ﷺ ستغير حتماً من نظرتهم لأبنائهم وسترفع من تطلعهم، وقراءة الأبناء لهذه السير ستدفعهم إلى تجاوز هذه النظرة التي يواجههم بها المجتمع.

رابعاً:- ورث المجتمع المسلم المعاصر اليوم ضمن تركة الهزيمة والتخلف مفاهيم تربوية غربية غريبة عليه وبعيدة عنه، وتحولت إلى جزء من تفكير الناس فانصرفوا عن المراجعة والمناقشة لهذه المفاهيم.

ومن ذلك **النظرة للمراهق** إذ لا يرى علم النفس الغربي في المراهق إلا الطيش والخفة، ولا يعرف عنه إلا الانحراف والجنوح حين سيطر عليه مفهوم (أزمة المراهقة)، وانتقلت هذه العدوى إلى المسلمين وورثوها كما ورثوا غيرها.

والعجيب أنه في الوقت نفسه الذي بدأ علم النفس المعاصر يعيد نظرته

للمراهق[١] لايزال كثير من الآباء المسلمين يعتبر ابنه معذوراً في كل ما يقارف ويفعل إذ هو مراهق.

إن قراءة سير شباب أصحاب النبي ﷺ الذين يعيشون في هذه المرحلة التي يصفها هؤلاء بأنها سن المراهقة تعطي الدليل القاطع أن الجزء الأكبر من مشكلة المراهقين في مجتمعاتنا إنما هو نتاج وضع تربوي واجتماعي ومؤثرات معاصرة أكثر منه مرحلة ملازمة لكل من عاش هذا السن.

ونحن إذ نقول ذلك لا ننكر أن للمراهق طبيعته الخاصة، ومشكلاته التي ليست لغيره، لكن الأمر ليس كما يصوره علم النفس المعاصر، وكما يسيطر على نظرة الكثير من الآباء اليوم.

وما أجدرنا أن نلتزم الأسماء الشرعية فنعتبرها مرحلة (البلوغ) أو (التكليف الشرعي) وفيها يجري على الشاب ما يجري على سائر الرجال.

خامساً:- من خصائص الشاب في هذه المرحلة **(القابلية للاستهواء)** فيتعلق الشاب بالنماذج ويعجب بها، ويستثمر الأعداء هذه الخصلة فيبرزون أمام الشباب العديد من النماذج التي تستهويهم وتأسرهم «وهذا الاستعداد الشديد للاستهواء في تلك المرحلة من العمر لم يخلقه الله عبثاً، ولم يخلقه ليكون مشكلة للإنسان ولا ليكون في ذاته مصدر خطر عليه، ولكنه -ككل ما أودع في الفطرة من الطاقات والاستعدادات- يؤدي مهمته في البناء السليم للنفس حين يوجه التوجيه الصالح»[٢] لذا فإن العناية بإبراز هذه النماذج أمام الشاب يخدم جانباً فطرياً مهماً لديهم، ويحميهم في الوقت نفسه ويوفر لهم البديل دون أبطال الرياضة والفن وغيرهم.

---

(١) انظر على سبيل المثال :سيكيولوجية المراهق المسلم المعاصر لعبد الرحمن العيسوي.

(٢) منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ج٢ (٢٤١)

سادساً: لقد قامت الصحوة الإسلامية اليوم بقدراتها المتواضعة بجهد تربوي رائع، فأخذت بأيدي الشباب وانتشلتهم من براثن المؤثرات الفاسدة، ولا تزال بحمد الله اليوم مؤسسات الصحوة التربوية تقدم لنا المزيد.

لكن نقص الخبرة، وقلة الدراسات التربوية المتاحة تجعل المساحة المتاحة للاجتهاد والتجارب الشخصية تتجاوز مداها الفعلي.

ومن ذلك: أن كل مرب لابد أن ترتسم في ذهنه صورة يتطلع للوصول بالشباب إليها، فكيف يتصور المربي حدود هذه الصورة؟ أو بعبارة أخرى ما الهدف والمستوى الذي يريد الوصول إليه؟

إننا كثيراً ما نصبح أسرى تجاربنا ومداركنا الشخصية، فيستمد كل مرب من تاريخه وتجاربه السابقة صورة يتطلع إليها، فيرى أنه حين يصل بطلابه إلى المرحلة التي وصل إليها زيد أو عمرو فقد بلغ الغاية.

ويرى أن القدر المرضي من الجدية هو ما وصل إليه فلان، وأن منتهى الصبر والتضحية هو ما بلغه فلان.... الخ.

إن استعراض هذه النماذج من سير شباب الصحابة -رضوان الله عليهم- يساهم في رسم صور يتطلع المربون إلى الاقتراب منها بأنفسهم وبمن يقومون على تربيته وتوجيهه، وإن لم يصلوا بالضرورة إليها فإنها تظل تحفز هممهم وتستثير عزائمهم، وفي ذلك تربية لهم وصقل لمواهبهم.

أين أنا من هؤلاء؟

لاشك أن كثيراً من الشباب سوف يتساءل حين يقرأ هذه النماذج والاطلاع على هذه السير العطرة: **أين أنا من هؤلاء؟** وأنى لي أن أصل إلى أحوالهم وأنا المقصر المفرط، ثم إن هؤلاء شباب اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فرأوه وصحبوه ورباهم

وشهدوا التنزيل فهل يمكن أن تقارن حالنا بحالهم؟ أو أن تطالبنا أن نكون مثلهم؟

وهو تساؤل جدير بأن نجيب عليه، فنقول:-

أولاً:- حينما يتطلع المرء لمثل هذه النماذج فهذا لا يعني بالضرورة أن يرى في نفسه أنه قادر على أن يكون مثلهم أو أن يصل إلى منزلتهم، لكنه قد يضعهم نموذجاً أعلى له يسعى قدر الإمكان إلى الاقتراب من حالهم ولو لم يصر مثلهم.

ثانياً:- حين يقرأ الشاب سيرهم تتعلق نفسه بهم، ويحبهم، ويلهج بذكرهم، وهو وإن قصرت نفسه عن اللحاق بهم، فإنه جدير بوعد النبي ﷺ الذي يرويه أبو موسى -رضي الله عنه- قال قيل للنبي ﷺ :الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال:«المرء مع من أحب» [١].

ثالثاً: لقد كان لأولئك -رضوان الله عليهم- دور بارز في مجتمعهم في كافة الميادين، وبرزوا بالرغم من وجودهم مع أمثالهم من الرجال الكبار الذين صحبوا النبي ﷺ كما صحبه هؤلاء، وتلقوا منه كما تلقى منه هؤلاء.

وهذا يعني بمنطق بدهي أن الشاب في أي مجتمع يمكن أن يفوق أقرانه، وأن يكون له دور، وأن يصل لمنزلة أعلى مما يضعها لنفسه، ونحن نريد من الشباب أن يكونوا في مجتمعهم كما كان شباب الصحابة في مجتمعهم.

---

(١) رواه البخاري (٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤١)

السابقة في الإسلام

حين جاء النبي ﷺ بهذا الدين وصدع بدعوته في وجه قومه، استنكف أهل مكة واستكبروا، وكان منطقهم في مواجهة دعوة التوحيد ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد**﴾ (ص:٥-٦).

وفي هذا الوسط الذي شرق بدعوة التوحيد ورفضها كان ممن بادر لمتابعة النبي ﷺ بعض شبان الصحابة، فعددٌ ممن أسلم في أول الإسلام كان ممن هو دون سن العشرين أو فوقها بقليل.

فمن السابقين الأولين للإسلام **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه-، ومنهم **سعد بن أبي وقاص** -رضي الله عنه- الذي قال عن نفسه:«ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام» [١].

وقال -رضي الله عنه-: «إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع رسول الله ﷺ ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، لقد خبت إذاً وضل عملي» [٢].

والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله -رضي الله عنهما- كانا من السابقين.

وكان ممن أسلم قبل دخول دار الأرقم **خباب بن الأرت، وسعيد بن زيد، وعبدالله بن مظعون**، و**قدامة بن مظعون**، و**مسعود بن الربيع** -رضي الله عنهم-

---

(١) رواه البخاري (٣٧٢٧)

(٢) رواه البخاري (٣٧٢٨) ومسلم (٢٩٦٦)

جميعاً.

وإياس، وعاقل، وخالد، وعامر أبناء بكير كانوا أول من بايع في دار الأرقم.

وأما من أسلم في دار الأرقم فهم كثر، ولا يزال الأمر في مرحلة الاستضعاف.

بل والأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه- الذي اتخذ النبي ﷺ داره لتكون مقراً للمسلمين في مكة كان حين أسلم شاباً.

وكان من السابقين للإسلام عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، إذ يقول عن نفسه: «لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا» [١].

ولنستمع لقصته كما يرويها هو إذ يقول: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر ،فقال:«يا غلام، هل من لبن؟» قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال:«فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟»، فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص، فقلص قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال:«يرحمك الله فإنك غليم معلم»[٢] ، وفي رواية: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها فشرب وشرب أبو بكر وشربت، قال: ثم أتيته بعد ذلك قلت: علمني من هذا القرآن، قال:«إنك غلام معلم»، قال: فأخذت من فيه سبعين سورة[٣].

ولا يقف الأمر عند من أسلم من أهل مكة، بل وأوائل السابقين للإسلام من الأنصار كذلك، فهاهو إياس بن معاذ الأنصاري -رضي الله عنه- يسبق قومه في

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٢٦ والحاكم ٣/٣١٣ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر السير ١/٤٦٤

(٢) حبذا أن يقف عند هذا الثناء النبوي -وهو كثير في السيرة النبوية- بعض المربين الذين يسيطر عليهم هاجس خوف الغرور على طلابهم فيعوقهم عن أي خطوة للثناء والتشجيع.

(٣) رواه أحمد ٣/٣٧٩ (٣٥٩٧-٣٥٩٨)

الإسلام، كما روى ذلك محمود بن لبيد قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم إلى خير مما جئتم له؟» قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال: إياس بن معاذ: يا قوم، هذا والله خير مما جئتم له. فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء، فضرب وجهه بها، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فسكت وقام وانصرفوا، فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك.

قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه، فكانوا لا يشكون أنه مات مسلماً [(١)] .

وفي حديث جابر رضي الله عنه في روايته لقصة بيعة العقبة :«...فلما نظر العباس –رضي الله عنه– في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم هؤلاء أحداث».

فماذا يعني هذا الأمر وما دلالاته؟

إنه يعني أولاً: أن الظاهرة ليست ظاهرة فردية شاذة بل هي ظاهرة عامة غالبة، فهذه أسماء من اهتدينا لمعرفة سنه، أما من لم ترو لنا كتب السير اسمه وشيئاً من شأنه، أو لم يذكر ما يدل على سنه فهم أكثر بكثير، إذ هناك طائفة كثيرة من أصحاب النبي ﷺ لا تذكر كتب السير ما يدل على أعمارهم وقتذاك، ومنهم الشباب قطعاً.

---

(١) رواه ابن اسحاق() وأحمد (٤٢٧/٥) والحاكم في المستدرك ١٨٠/٣ وقال في الإصابة ٣١٤/١ :"رواه جماعة عن ابن اسحاق هكذا وهو من صحيح حديثه.

وهو يعني ثانياً: صدق اليقين والتوجه لدى هؤلاء، إنه حين يسلم شاب أو يأتي لذكره حديث في المدينة ربما فسر ذلك أنه استجابة لوضع المجتمع ومسايرة لأهله ووالديه، أما هنا فالأمر يختلف تماماً فأول من وقف في وجه هؤلاء هم أهلهم وذووهم وآباؤهم وأمهاتهم، بل وقف المجتمع بأسره في وجههم ومع ذلك فقد ثبتوا وصمدوا في وجه كل الأعاصير.

وقد يقول قائل: إن الشباب وحدثاء الأسنان تأسرهم المظاهر ويأخذ بلبهم البريق الخادع فيتبعون كل داع وناعق، وهي مقولة قوم نوح له ﴿**ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي**﴾ (هود:٢٧) فهذا إن صح لا يمكن أن يكون له نصيب أمام هذا الجيل المبارك.

لقد دخل أولئك في الإسلام وصاحب الرسالة ﷺ يعيش مرحلة الاضطهاد والمضايقة هو ومن آمن معه، وتحملوا ما أصابهم و لم تحفظ لنا السير نماذج ممن ارتد من الذين دخلوا الإسلام في عصر الدعوة المكية إلا ما ندر.

إن كل من يدخل الإسلام في تلك الفترة كان يدرك تمام الإدراك أنه سيدفع الثمن الباهض مقابل اتخاذه هذا القرار، وهو يعرف كيف واجه من سبقه وتحملوا من صنوف الإيذاء والقهر ما لا يطيقه إلا الأشاوس من الرجال.

وهو يعني ثالثاً: دلالة لها أهمية بالغة في شأن طبيعة الدعوة إلى الله عز وجل والمستجيبين لها؛ إذ إن عامة المستجيبين للدعوة هم من الشباب وهذا يحتم على الدعوة الإسلامية المعاصرة أن تهتم بالشباب، وتعنى بتوجيه الدعوة إليهم؛ إذ هم أكثر استجابة وإقبالاً، وهم رجال المستقبل وقادته بإذن الله عز وجل.

إن جيل الكبار – من غير المستجيبين لأمر الله– قد تشرب معاني ورثها وتأصلت لديه فصار اقتلاعها أمراً صعباً، فمنطق (إنا وجدنا آباءنا على أمة) يسيطر

على أمثال هؤلاء، فيحجبهم عن الحقيقة وقد رأوها رأي العين.

وهو رابعاً:- دليل على خطأ مقولة أولئك الذين يصورون الدعوة الإسلامية المعاصرة بأن معظم أتباعها من الشباب الأغرار الذين لا تجربة لهم ولا خبرة بل يسيرون خلف كل ناعق، ويتبعون من دعاهم لخير وشر.

إن الشباب لاشك أسرع استجابة لداعي الشر، لكنهم أكثر استعداداً وقبولاً في الوقت نفسه لداعي الخير وأرق أفئدة، وكفى بسيرة أصحاب النبي ﷺ شاهداً على ذلك .

بل الأمر لا يقف عند حدود هذه الأمة فهي سنة في الأمم المسلمة السابقة أن الشباب لهم ما ليس لغيرهم.

ومن ذلك ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن أهل الكهف ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً**﴾ (الكهف:١٣-١٤) فإذ أعلن هؤلاء إيمانهم وعبوديتهم لله سبحانه وتعالى كانوا في مجتمع يعج بالشرك والضلالة وكان هؤلاء وحدهم الذين نور الله قلوبهم بالهداية ﴿**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾ (الكهف:١٥) .

وحدثنا ﷺ عن نبأ قوم سابقين في حديث صهيب -رضي الله عنه-:« كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه....» وذكر ﷺ من شأنه ودعوته وإيمان الناس على يديه، وهو لا يزال غلاماً صغيراً، فمن يجرؤ حينئذ على أن يصمه ودعوته بأنه غر، أو مراهق، أو شاب متحمس؟!

وقال تبارك وتعالى عن دعوة موسى عليه السلام ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية**

من قومه على خوف من فرعون وملإهم أن يفتنهم ﴾ (يونس:٨٣) قال ابن كثير رحمه الله حول هذه الآية :«يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، لأن فرعون لعنه الله كان جباراً عنيداً مسرفاً في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفاً شديداً» [١].

وهاهو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- يؤكد هذا المعنى، فحين روى في مسنده حديث سمرة بن جندب -رضي الله عنه- :«اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم» سأله ابنه عبد الله عن تفسير هذا الحديث فقال: الشيخ لا يكاد أن يسلم، والشاب (أي)[٢] يسلم كأنه أقرب إلى الإسلام من الشيخ، قال: الشرخ الشباب [٣].

فليعمم هؤلاء النتيجة وليقولوا إن النبي ﷺ كان أتباعه السابقون الأولون من الأغرار الأحداث، وأهل الكهف كذلك، وأصحاب الأخدود ساروا وراء شاب متحمس طائش فحصدت نفوسهم، وأريقت تلك الدماء في عشية واحدة- إما أن يقولوا بذلك - أو أن يراجعوا أصلهم، ويعيدوا نظرتهم.

نعم: إن الشباب حين يفتقدون العلم والانضباط الشرعي، وحين لايجدون القيادة الواعية التي توجههم ويثقون بها قد ينزلقون إلى مزالق خطرة، أما حين يهيئ الله لهم قيادة واعية فإنها تستثمر طاقتهم وتوجه حماستهم لنصرة الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٦٢٢)
(٢) هكذا في المسند.
(٣) المسند (٥/١٣) (٢٠١٦٦)

ولهذا قال ابن شوذب رحمه الله :«إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها»[١].

وقال عمرو بن قيس الملائي :«إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه؛ فإن الشاب على أول نشوءه»[٢].

وقال أيضاً:«إن الشاب لينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم، وإن مال إلى غيرهم كاد أن يعطب»[٣] .

---

(١) رواه ابن بطه في الإبانة (٤٣)

(٢)رواه ابن بطه في الإبانة (٤٤)

(٣)رواه ابن بطه في الإبانة (٤٥)

العناية بحفظ القرآن وتعلمه

القرآن دستور الأمة وأساس نهضتها، وبه أنقذها الله من الظلمات إلى النور، لذا فقد كان أول ما عني به شباب أصحاب النبي ﷺ هو القرآن وحفظه وتعلمه.

لقد كان الحرص الذي تمتع به أولئك -رضوان الله عليهم- مدعاة لأن يفوقوا غيرهم حتى يأمر النبي ﷺ باستقراء القرآن من أربعة، ثلاثة منهم من الشباب وهم **معاذ، وابن مسعود، وسالم** -رضي الله عنهم- إذ يقول:«استقرئوا القرآن من أربعة:من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل». قال: لا أدري بدأ بأبيّ أو بمعاذ [١].

ويشهد أنس -رضي الله عنه- مع **معاذ** لشاب آخر هو **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- بأنه قد وعى القرآن وجمعه فيقول:«جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت» [٢].

وكان **عمرو بن سلمة** -رضي الله عنه- وهو من صغار الصحابة حريصاً على تلقي القرآن، فكان يتلقى الركبان ويسألهم ويستقرئهم حتى فاق قومه أجمع، وأهّله ذلك لإمامتهم، ولنستمع لذلك من روايته -رضي الله عنه- إذ يقول:«كنا على حاضر فكان الركبان -وقال إسماعيل مرة:الناس- يمرون بنا راجعين من عند رسول الله ﷺ فأدنو منهم فأسمع حتى حفظت قرأناً، وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، فلما فتحت جعل الرجل يأتيه فيقول: يا رسول الله، أنا وافد بني فلان وجئتك بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام قومه فرجع إليهم، قال: قال رسول

---

(١) رواه البخاري (٣٧٥٨) ومسلم (٢٤٦٤)

(٢) رواه البخاري (٣٨١٠) ومسلم (٢٤٦٥)

ا لله ﷺ:«قدموا أكثركم قرأناً» قال:فنظروا وإني لعلى حِواء عظيم[(١)] ، فما وجدوا فيهم أحداً أكثر قرأناً مني، فقدموني وأنا غلام...[(٢)].

ونلمس الحرص نفسه عند **زيد بن ثابت** -رضي ا لله عنه- فيأتي قومه إلى النبي ﷺ مفاخرين بما حصَّل صاحبهم، يحدثنا عن ذلك فيقول: إن قومه قالوا للنبي ﷺ: هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل ا لله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال :«يا زيد، تعلم لي كتاب يهود؛ فإني وا لله ما آمن يهود على كتابي» قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب [(٣)].

وآخر أيضاً جاوز العاشرة بقليل وهو **البراء بن عازب** -رضي ا لله عنه- يقول:« فلم يقدم علينا رسول ا لله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل »[(٤)].

وسبق في قصة **ابن مسعود** -رضي ا لله عنه- قوله:« ثم أتيته بعد ذلك قلت: علمني من هذا القرآن قال: إنك غلام معلم، قال: فأخذت من فيه سبعين سورة»[(٥)].

وابن عباس -رضي ا لله عنه- يقول عن نفسه:«توفي رسول ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» [(٦)] (والمحكم هو المفصل).

بل قال في رواية أخرى عن نفسه:«سلوني عن التفسير، فإني حفظت القرآن

---

(١) الحِواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء، والجمع أحوية (النهاية١/٤٦٥)
(٢) رواه أحمد ٥/٣٠ (٢٠٣٥٦)
(٣) رواه البخاري تعليقاً ، وأحمد (٥/١٨٦) (٢١٦٧٣)
(٤) طبقات ابن سعد ٤/٢٧١
(٥) رواه أحمد (٣٥٩٨)
(٦) رواه البخاري (٥٠٣٥)

وأنا صغير»[١].

وقال محمد بن إسحاق عن **مجمع بن جارية** :«كان حدثاً قد جمع القرآن»[٢].

ويحمد النبي ﷺ ربه تبارك وتعالى أن جعل في أمته مثل **سالم مولى أبي حذيفة** -رضي الله عنه- فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أبطأت على النبي ﷺ فقال:«ما حبسك يا عائشة» قالت: يا رسول الله، إن في المسجد رجلاً ما رأيت أحداً أحسن قراءة منه، قال: فذهب رسول الله ﷺ فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة قال رسول الله ﷺ :«الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك»[٣].

إن هذا ليمثل أعظم دافع لشبابنا بأن يغتنموا سني شبابهم في حفظ كتاب الله تبارك وتعالى والعناية به، كيف لا وقد رتب الشرع على ذلك الفضائل العظيمة.

فمن ذلك قوله ﷺ :«مثل الذي يقرأ الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»[٤].

وقد جعل الشرع حامل القرآن مقدماً على الناس، فهو أحقهم بالإمامة في الصلاة إذ قال ﷺ:«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة..»[٥].

ولا يقف التقديم عند حد الحياة بل حتى بعد موته فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ يجمع بين رجلين من قتلى أحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، فقال:« أنا

---

(١) أورده الحافظ في الفتح، وقال :«وأخرجه ابن سعيد وغيره بإسناد صحيح عنه»

(٢) الإصابة (٥/٥٧٧)

(٣) رواه أحمد ٦/١٦٥ (٢٥٣٧٤) وابن ماجه (١٣٣٨)

(٤) رواه البخاري (٤٩٣٧)

(٥) رواه مسلم (٦٧٣)

شهيد على هؤلاء يوم القيامة...» [١].

وتعلو درجة حامل القرآن يوم القيامة حين يدخل الجنة فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها» [٢].

إن هذه النصوص وغيرها كانت تدفع شباب الرعيل الأول للعناية بالقرآن وتعلمه وتعاهده، فما أجدر شبابنا بالسير على نهجهم واقتفاء أثرهم.

ويزداد سرور المرء اليوم وهو يرى الشباب المسلم الغض قد بدأ يتوافد على حلق حفظ القرآن، ويثني ركبه في المساجد ويقضي نفيس أوقاته في ذلك، فيدرك أن ذلك بادرة خير وأمارة صلاح بإذن الله، وعلامة على السير على منهج السلف.

الأمر لا يقف عند مجرد الحفظ:

و لم يكن الأمر لدى شباب أصحاب النبي ﷺ في تعلم القرآن واقفاً عند مجرد حفظه وإقامة حروفه بل كانوا يتعلمون أحكامه وحدوده.

يحدثنا عن ذلك أحدهم وهو **ابن مسعود** -رضي الله عنه- إذ يقول:« كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن» [٣].

ونحن اليوم إذ نشهد هذا الإقبال من الشباب على حفظ كتاب الله والمسارعة في ذلك والمسابقة فيه، نتمنى أن ينضم لذلك العناية بتدارس القرآن والتعرف على معانيه والقيام بحقوقه.

إن الحفظ وسيلة إلى ما بعده من المداومة على التلاوة والقراءة والتدبر

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٣)
(٢) رواه الترمذي (٢٩١٤) وأبو داود (١٤٦٤)
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٣٥) وانظر حاشية سير أعلام النبلاء(١/٤٩٠)

والوقوف عند المعاني، ومن ثم أخذ النفس بها والالتزام بما دلت عليه.

ومن فقه أصحاب النبي ﷺ في هذا الأمر موقف **ابن عباس** -رضي الله عنهما- إذ قدم رجل على عمر فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: ياأمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقلت -ابن عباس-: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه، فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة ولا أراني إلا سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة من أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك، قيل لي: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو قائم على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت، قال: لتخبرني، فقلت:متى مايسارعوا هذه المسارعة، يحيفوا، ومتى مايحيفوا يختصموا، ومتى مايختصموا يختلفوا، ومتى مايختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها[(١)].

تعليم القرآن:

ويدرك الشباب من أصحاب النبي ﷺ أن حفظ القرآن وتعلمه يتطلب منهم أن يقوموا بواجب التعليم، كما أخبر ﷺ :«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(٢)].

ولهذا بعث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أحدهم وهو **مجمع بن جارية** -رضي الله عنه- لأهل الكوفة يعلمهم القرآن [(٣)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف [٢١٧/١١(٢٠٣٦٨)] وفي هذا الأثر درسان: درس لطالب العلم في الأدب مع الأكابر، ودرس للمعلم في التواضع، وسعة الصدر لرأي تلاميذه، وقبول الحق ممن جاء به.

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧)

(٣) الإصابة (٥٧٧/٥)

طلب العلم

إن طلب العلم لا غنى عنه لأي شاب يريد عبادة ربه تبارك وتعالى والاستقامة على دينه، فضلاً عمن يريد الدعوة لدين الله.

ولقد كان شباب أصحاب النبي ﷺ يدركون أهمية العلم وفضله، بل وضرورته، ولذا حفظت لنا سيرهم المواقف العديدة من حرصهم على العلم وعنايتهم به، وهي مواقف يصعب استقصاؤها، لكني أشير إلى أهم ما وقفت عليه من خلال المظاهر الآتية:

المبادرة والحرص على التعلم والسماع:

فهاهو أحد شباب الصحابة وهو **عبد الله بن الحارث** -رضي الله عنه- يقول: أنا أول من سمع النبي ﷺ يقول: «لا يبول أحدكم مستقبل القبلة» وأنا أول من حدث الناس بذلك[1].

إنها صورة من صور المبادرة في سماع العلم وتبليغه، وهو حين يكون أول سامع وأول مبلغ فلم يكن ذاك في مجتمع غافل بعيد عن العلم والعناية به، بل في مجتمع العلم والعلماء.

وكان **عمرو بن سلمة** -رضي الله عنه- وهو من صغار الصحابة حريصاً على تلقي العلم، فكان يتلقى الركبان ويسألهم ويستقرئهم حتى فاق قومه أجمع وأهّله ذلك لإمامتهم، كما سبق قبل قليل في حفظ القرآن.

ويحكي لنا أحدهم وهو **عبد الله بن عمر** -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر وبعد المغرب بضعاً وعشرين مرة، أو بضع عشرة مرة

---

(١) رواه أحمد ٤/١٩٠ (١٧٧١٧-١٧٧١٨)

﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ و ﴿**قل هو ا لله أحد**﴾ [١]. وفي إحدى روايات الحديث يقول :«رأيت رسول ا لله..» إن هذا الاستقصاء والحرص دليل على مبلغ العناية بالتعلم، وحين ندرك أن ذلك كان في صلاة النافلة، وفي قراءة سرية نعلم مبلغ الجهد الذي بذله -رضي ا لله عنهما- في تتبع ذلك.

ولهذا كانوا يحرصون على تتبع أحواله ﷺ كما حكى **زيد بن خالد** -رضي ا لله عنه- إذ قال:«لأرمقن صلاة رسول ا لله ﷺ الليلة، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة» [٢].

حفظ العلم:

إن هذا الحرص على التحصيل والتعلم لم يكن شعوراً داخلياً فحسب بل نتج عنه التحصيل والحفظ والإدراك.

وهذه شهادة من عمران بن حصين -رضي ا لله عنه- في الحفظ **لأبي قتادة** في حديثه الطويل؛ إذ حدث أحد الرواة عنه وهو عبد ا لله بن رباح فقال: إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع إذ قال عمران بن حصين: انظر أيها الفتى كيف تحدث فإني أحد الركب تلك الليلة قال: قلت فأنت أعلم بالحديث، فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار، قال: حدث فأنتم أعلم بحديثكم قال فحدثت القوم فقال

---

(١) رواه أحمد ٢/٥٨ (٥٢١٤)

(٢) رواه مسلم (٧٦٥)

عمران:« لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحدا حفظه كما حفظته» [١].

والنعمان بن بشير -رضي الله عنه- يذكر عن نفسه أنه حفظ ما لم يحفظه غيره إذ يقول:« أنا أعلم الناس بوقت هذه الصلاة - العشاء - ، كان رسول الله ﷺ يصليها لسقوط القمر لثالثة - غياب القمر ليلة الثالث من الشهر-» [٢].

تخصيصه ﷺ لهم بالوصية والتعليم:

ومادام هؤلاء بهذا القدر من الحرص على العلم، والإقبال عليه والشغف به فقد عني ﷺ بتعليمهم؛ فتحفل السنة النبوية بالعديد من المواقف التعليمية التي يخص فيها ﷺ أحداً من هؤلاء بوصية أو موعظة أو تعليم حكمة، ومن ذلك:

تعليمه ﷺ **لمعاذ** -رضي الله عنه- مسألة من أعظم المسائل في التوحيد فيقول -رضي الله عنه-: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال عفير، فقال:«يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال:«فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» [٣].

ولعظم شأن هذا الحديث لا يجد من صنف أو تحدث في توحيد الله مناصاً من إيراده والاستشهاد به.

ومرة أخرى يعلم ﷺ **معاذاً** -رضي الله عنه- باباً من أبواب الخير فيقول له:«ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟» قال: وما هو؟ قال:«لا حول ولا قوة إلا بالله» [٤].

---

(١) رواه مسلم (٦٨١)

(٢) رواه الترمذي (١٦٥) والنسائي (٥٢٨) وأبو داود (٤١٩)

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠)

(٤) رواه أحمد ٢٢٨/٥ (٢٢٠٥٧)

ويوصي ﷺ **عبد الله بن عمر** -رضي الله عنهما- وصية بالغة عظيمة، يرويها لنا بنفسه فيقول: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [١].

ومن ذلك تعليمه ﷺ **للحسن** -رضي الله عنه- دعاء القنوت. فيقول: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر :«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت» [٢].

وعلَّمَ **البراءَ بن عازب** -رضي الله عنه- دعاءً للنوم فقال: « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل:اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به» قال فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت:«اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت» قلت: ورسولك، قال:«لا ونبيك الذي أرسلت»[٣].

وروى **شداد بن أوس** -رضي الله عنه- حديث سيد الاستغفار:« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال:«ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦)
(٢) رواه الترمذي (٤٦٤) والنسائي (١٧٤٥) وأبو داود (١٤٢٥) وابن ماجه (١١٧٨)
(٣) رواه البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠)

يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» [١].

وفي رواية للترمذي أنه ﷺ قال له :«ألا أدلك على سيد الاستغفار؟» [٢].

إن كثيراً ممن يقرأ هذه النصوص يدرك منها حرص النبي ﷺ على تعليم أصحابه، وهو معنى صحيح بلا شك.

لكنها تدل بالإضافة إلى ذلك على حرص الشباب من أصحاب النبي ﷺ على التعلم وطلب العلم، فالعلم لا يبذل إلا لمن يريده ويحرص عليه.

كتابة العلم:

وتميز بعضهم بالحرص على كتابة العلم إذ كانت الكتابة وسيلة لحفظه وضبطه، فن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:«ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من **عبدا لله بن عمرو** فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٣].

ويحدثنا هو -رضي الله عنه- عن ذلك فيقول :« كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه،فنهتني قريش وقالوا:أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا؟فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال:«اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦) والحديث يدل على قيمة تلقي العلم عن أهله، فمن كان أستاذه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٩٣)

(٣) رواه البخاري (١١٣)

(٤) رواه أبو داود (٣٦٤٦) وأحمد () والدارمي (٤٩٠)

الحرص على السؤال:

ومن صور حرصهم على العلم -رضوان الله عليهم- السؤال، فتحفل السنة النبوية بالعديد من النصوص التي فيها سؤالهم له ﷺ عن مسائل من العلم وإجابته لهم ﷺ ومن ذلك:

ما يرويه لنا **معاذ** -رضي الله عنه- قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» - ولما كان ﷺ مدركاً لحرصه -رضي الله عنه- زاده مما لم يسأل عنه - ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» قال ثم تلا ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**.. حتى بلغ ﴿**يعلمون**﴾، ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: «كف عليك هذا» فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» [1].

ويسأل **أنس بن مالك** -رضي الله عنه- النبي ﷺ عن الرجل يرقد عن الصلاة أو يغفل عنها، قال: «ليصلها إذا ذكرها» [2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وأحمد ٥/٢٣١ (٢٢٠٧٧)
(٢) رواه أحمد ٣/٢١٦ (١٣٢٦٧)

وحين تواجه أحدَهم واقعةٌ يبادر بالسؤال عن الحكم الشرعي فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال أتى النبي ﷺ **فتى شاب من بني سلمة** فقال: إني رأيت أرنباً فحذفتها، و لم تكن معي حديدة أذكيها بها، وإني ذكيتها بمروة، فقال له النبي ﷺ: « كل»(١).

وحين تفوت أحدَهم سنة عن النبي ﷺ يسأل غيره عنها كما يحكي لنا **عبد الله بن عمر** -رضي الله عنهما- أنه في يوم فتح مكة دخل ﷺ على ناقة لأسامة بن زيد، حتى أناخ بفناء الكعبة، فدعا عثمان بن طلحة بالمفتاح، فجاء به ففتح، فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة، فأجافوا عليهم الباب ملياً، ثم فتحوه، قال عبد الله - ابن عمر- :فبادرت الناس، فوجدت بلالاً على الباب قائماً، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: بين العمودين المقدمين، قال: ونسيت أن أسأله: كم صلى؟ (٢).

ويبلغ السؤال عن مسائل العلم عند بعضهم قدراً من الأهمية يجعله يبادر فيه كما يحكي لنا **ابن عمر** -رضي الله عنهما- عن نفسه قال: كنت أبيع الإبل بالبقيع، فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، فأتيت النبي ﷺ وهو يريد أن يدخل حجرته فأخذت بثوبه، فسألته فقال: «إذا أخذت واحداً منهما بالآخر فلا يفارقنك وبينك وبينه بيع»(٣).

العلم أهم حوائجهم:

والسؤال عن العلم أولى عند بعضهم من حوائجه الخاصة فحين قدم قوم إلى

---

(١) رواه أحمد ٣/٣٢٥ (١٤٤٩٩)

(٢) رواه أحمد ٢/٣٣ (٤٨٩٠)

(٣) رواه أحمد ٢/٨٣ (٥٥٥٤)

النبي ﷺ ومعهم شاب هو **عبد الله بن واقد السعدي** وكان أصغرهم سألوه حوائجهم أما هو فكان له شأن آخر، فلنستمع إليه يحدثنا عن حاجته:-

وفدت إلى رسول الله ﷺ في وفد كلنا يطلب حاجته، وكنت آخرهم دخولاً على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني تركت من خلفي وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت، قال:«لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار».

وفي رواية: فدخل أصحابي فقضى حاجتهم، وكنت آخرهم دخولاً، فقال: «حاجتك»...[١].

الفهم والفقه:

والعلم لا يقف عند مجرد الحفظ والسؤال، بل لابد من الفقه والفهم؛ إذ هو الوسيلة لأن يتحول العلم إلى عمل ويبدو أثره على صاحبه، لذا فقد كان لشباب أصحاب النبي ﷺ نصيب ورصيد من ذلك، سأل ﷺ أصحابه يوماً، فقال:« إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ:«هي النخلة»[٢].

وعن علي -رضي الله عنه- قال:بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، قال: فلما خرجوا قال: وجد عليهم في شيء فقال: قال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني؟ قال: قالوا: بلى، قال: فقال: اجمعوا حطباً ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها، قال: فهمَّ القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم **شاب** منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار، فلا

---

(١) رواه النسائي (٤١٧٢) وأحمد ٥/ ٢٧٠ (٢٢٣٨٧)
(٢) رواه البخاري (١٣١) ومسلم (٢٨١١) .

تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا، قال: فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف»[1].

إن هذا الشاب مع فقهه وفهمه -رضي الله عنه- يضرب لنا مثلاً في التأني وعدم التعجل في إصدار الأحكام، وأن تكون مواقف المرء موزونة بميزان الشرع الدقيق، لقد تعارض لديه أمر النبي ﷺ بطاعة هذا الأمير، وكونه قد اتبع النبي ﷺ فراراً من النار، فلم يقل لا نطيعه، إنما قال: لا تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا.

فما أجدر طالب العلم أن يتحلى بالاتزان والتأني في إصدار الأحكام، ومراعاة الأمر من جميع جوانبه.

ويناقش **أبو سعيد الخدري** -رضي الله عنه- أحد أصحابه فيقره ﷺ على ما ذهب إليه، فعنه -رضي الله عنه- قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال رجل: هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ هو مسجدي، وفي رواية: فقال رجل من بني خدرة.

وقد بينت رواية مسلم أن الرجل من بني خدرة هو أبو سعيد، إذ هو الذي دخل على النبي ﷺ فسأله، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال أبي: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة، قال:

---

(١) رواه أحمد ١/٨٢ (٦٢٤) وهو في الصحيحين دون موضع الشاهد.

فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره [١].

إن الفهم والفقه هو الذي يعين على تحول العلم إلى عمل، واستثمار هذا العلم والاستفادة منه، وهو الذي يعين على الانضباط وعدم الجمود على ظاهر نص لم يفهمه المرء و لم يفقهه ومعارضة النصوص الأخرى به.

ولهذا أثنى المعلم الأول ﷺ على أولئك الذين يفقهون فعن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢].

شهادته ﷺ لهم بالعلم:

ويعطي ﷺ شهادة عظيمة - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - بأن أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام هو أحد شباب الصحابة -رضوان الله عليهم- ألا وهو **معاذ بن جبل**.

وشهادة لآخر من الشبان هو **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- فيشهد له ﷺ أنه أفرض الأمة. يقول ﷺ:«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن

(١) رواه مسلم (١٣٩٨)

(٢) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢)

ثابت، وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[١].

ومن جوانب عناية هؤلاء بالعلم، وسبقهم في تحصيله أن غالب المكثرين في الرواية هم من الشباب **كجابر بن عبدا لله، وابن عباس، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وعبدا لله بن عمر بن الخطاب** -رضي ا لله عنهم- جميعاً.

ولئن كان من أسباب تميز هؤلاء بكثرة الرواية تأخر موتهم فهل هذا وحده هو السبب الأوحد؟. إننا حين ندرك أن الكثير من الصحابة غيرهم تأخر موتهم ومع ذلك لم تبلغ مروياتهم مبلغ هؤلاء، ندرك أن ثمت سبباً آخر يضاف لذلك ألا وهو عناية هؤلاء وحرصهم على السماع منه ﷺ أو السماع ممن سمع منه من كبار الصحابة، ويتضح ذلك من خلال سيرتهم وحرصهم على تتبع أحواله ﷺ.

الاجتهاد وتحمل المشاق:

العلم مطلب نفيس لا يستطال ولا يدرك براحة الجسد، وأصحاب النبي ﷺ كانوا من أكثر الناس إدراكاً لهذه الحقيقة: وإليك هذا الشاهد من جلد وصبر حبر الأمة وترجمان القرآن **عبدا لله بن عباس** -رضي ا لله عنهما- كما يروي ذلك بنفسه فيقول:-

لما توفي رسول ا لله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم نسأل أصحاب رسول ا لله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي عليه السلام من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح علي التراب، فيخرج فيراني، فيقول:ياابن عم رسول ا لله، ألا

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٩٠) وابن ماجه (١٥٥)

أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك، قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي، فقال: هذا الفتى أعقل مني[١].

تعلم الإيمان:

عن **جندب بن عبدالله** -رضي الله عنه- قال كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[٢] فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[٣].

فهو يذكر لنا -رضي الله عنه- جانباً مهماً من جوانب التعلم التي قد غفل عنها كثير من طلبة العلم اليوم، فأهملوا تعلم الإيمان ومسائله، وشعروا أن العلم إنما يتمثل في تعلم مسائل الأحكام وحدها، والعناية بجمع آراء الرجال واختلافهم حول مثل هذه المسائل، ونسي أولئك أصل الأصول وأساس الأسس، لذا فلا نعجب حين ندرك هذا الخلل أن نرى عدم التوافق بين ما يحمله بعض الناس من العلم وبين سلوكه وسمته.

ولقد كان السلف -رضوان الله عليهم- يعنون بذلك فهاهو ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول:«ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم خشية الله»[٤].

ومالك رحمه الله يقول:«العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل»[٥].

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال:«هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه

---

(١) رواه الطبراني كما في المجمع (٩/٢٧٧) وقال: رجاله رجال الصحيح
(٢) الحَزَوَّر هو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم، وهو الذي قارب البلوغ (اللسان ٤/١٨٧)
(٣) رواه ابن ماجه (٦١)
(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/٥٢)
(٥)جامع بيان العلم وفضله (٢/٥٢)

على شيء»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوا لله لنقرأنه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال:«ثكلتك أمك يازياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟» قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قال:قلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت أخبرتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً [١] فهل يعد الخشوع اليوم علماً؟

وقال عبد الأعلى التيمي :«من أوتي من العلم ما لايبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم قرأ القرآن ﴿**إن الذين أوتوا العلم**... إلى قوله ... **يبكون**﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩)[٢] .

وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه [٣].

التأدب في طلب العلم وتوقير أهله:

إن الطالب قد تسيطر عليه العناية بتحصيل العلم وحرصه عليه فينسى ما رواء ذلك ويقع في سوء الأدب مع من يعلمه.

أما الشباب من أصحاب النبي ﷺ فلهم مع ذلك شأن آخر فعنايتهم -رضوان الله عليهم- بالسؤال وحرصهم عليه لم تكن لتخرجهم عن حدود الأدب مع النبي ﷺ فها هو أحدهم وهو **البراء بن عازب** -رضي الله عنه- يقول:«إن كان لتأتي علي السنة أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن شيء فأتهيب منه، وإن كنا لنتمنى

---

(١) رواه الدارمي (٢٨٨)

(٢) أخرجه الدارمي (٢٩١)

(٣) أخرجه الدارمي (٢٩٥)

الأعراب»[١].

ومن صور ذلك ما سبق من أدب **ابن عباس** -رضي الله عنهما- وتوسده الباب وامتناعه عن طرقه.

ولهذا عني أهل العلم ببيان آداب طالب العلم مع من يعلمه العلم، فيجدر بالشاب أن يتعلم مثل هذه الآداب ويلزم نفسه بها.

---

(١) رواه أبو يعلى.

العبادة

لقد كان شباب أصحاب النبي ﷺ وهم تلاميذ مدرسة النبوة قدوة لمن بعدهم في العبادة والاجتهاد فيها.

ومما حفظته لنا السير من عبادتهم -رضوان الله عليهم- ما حدث به **النعمان ابن بشير** -رضي الله عنه- على منبر حمص إذ قال:«قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح، قال: وكنا ندعو السحور الفلاح...» [١].

إن شهود النعمان بن بشير -رضي الله عنه- هذه الصلاة مع ما وصف من حالها وهو صغير ليعطي الشاب المسلم الدافع والعزيمة للتأسي بهم -رضوان الله عليهم- والاجتهاد في عبادة ربه.

ومع شاب آخر من شباب أصحاب النبي ﷺ وهو **عبدالله بن عمر** -رضي الله عنهما- فيقول: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال:«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي بالليل» قال سالم: فكان عبدالله لا ينام من الليل إلا قليلاً [٢].

---

(١) رواه أحمد ٤/٢٧٢ (١٨٤٣٢)

(٢) رواه البخاري (٣٧٣٨-٣٧٣٩)

وعبدا لله بن عمرو بن العاص -رضي ا لله عنهما- زوجه أبوه امرأة فكان يتعاهدها، فتقول له: نعم الرجل لم يكشف لنا كنفاً و لم يطأ لنا فراشاً -تشير إلى اعتزاله- فاشتكاه إلى النبي ﷺ فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل، وكان مما قاله -رضي ا لله عنه-:«دعني أستمتع من قوتي ومن شبابي».

وإنكار النبي ﷺ عليه ليس منصباً على حرصه على العبادة، إنما لكونه قد حمل نفسه مالا تطيق، ولهذا فلا غنى للشاب عن التوازن وألا يحمل نفسه مالا تطيق، وفي الوقت نفسه ينبغي ألا يكون ذلك حاملاً له على إهمال العبادة وعدم العناية بها.

وكان **محمد بن طلحة** -رضي ا لله عنه- يلقب بالسجاد لكثرة صلاته وشدة اجتهاده في العبادة، ولقد وصفه قاتله بذلك حين رفع عليه السيف فقال له محمد: نشدتك بحم، فأنشأ يقول:-

وأشعث قوام بآيات ربه	قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
ضممت إليه بالقناة قميصه	فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير ذنب أن ليس تابعاً	علياً ومن لايتبع الحق يَظْلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر	فهلا تلا حاميم قبل التقدم[1]

وكان **عبدا لله بن الزبير** -رضي ا لله عنهما- صواماً قواماً كما قال عنه ابن عمر -رضي ا لله عنهما-«أما وا لله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم»[2].

العبادة لا تفارقهم حتى في البيوت:

ولقد عمر أولئك -رضوان ا لله عليهم- بيوتهم بالعبادة والطاعة، فكانوا أسعد

---

(١) أسد الغابة (٥/٩٣-٩٤)

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٥)

الناس بوصية النبي ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» [١].

حين سئل نافع رحمه الله عما يفعله **ابن عمر** -رضي الله عنهما- في منزله قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما [٢].

واليوم يشعر كثير من الشباب الصالحين أن بقاءه في منزله يكون مدعاة للزلل ومواقعة المعصية فلعل مما يعينه على تجاوز هذه المشكلة أن يأخذ بهذا الهدي النبوي فيكون له نصيب من عبادة الله في بيته ليعتاد العبادة وتصبح ديدناً له وشأناً.

وحتى في السفر:

والعبادة عند شباب أصحاب النبي ﷺ ليست في حال الإقامة فحسب بل حتى في السفر فعن ابن أبي مليكة رحمه الله قال: صحبت **ابن عباس** من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسأله أيوب كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ (ق: ١٩) فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج [٣].

والأمر في السفر لا يقتصر على الصلاة بل يمتد إلى الصيام إذ يقول **حمزة بن عمرو الأسلمي** -رضي الله عنه- : يا رسول الله، أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح؟ فقال رسول الله: «هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه» [٤] وفي بعض روايات الحديث «إني رجل كثير الصيام أفأصوم في السفر؟».

والشاهد من هذا الحديث ليس مجرد الصيام في السفر، إنما هو في عناية هذا

(١) رواه مسلم (٧٨٠)

(٢) رواه ابن سعد، وانظر سير أعلام النبلاء (٣/٢١٥)

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٢)

(٤) رواه مسلم (١١٢١) وفي رواية للبخاري (١٩٤٣) «وكان كثير الصيام»

الصحابي رضي ا لله عنه بالصيام، كما توضح ذلك الرواية الأخرى، والصيام من العبادات التي يحتاجها كل مسلم والشباب بالأخص إذ أوصاهم ﷺ بذلك في قوله: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [(١)].

الحرص على أعمال الخير:

عن أنس بن مالك -رضي ا لله عنه- قال كنا جلوساً مع رسول ا لله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه **عبد ا لله بن عمرو بن العاص** فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال: نعم قال: أنس وكان عبد ا لله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر ا لله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد ا لله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد ا لله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول ا لله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول ا لله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠)

رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»[١].

وسأل **أنس** -رضي الله عنه- النبي ﷺ أن يشفع له، كما يحدثنا هو عن ذلك: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال:«أنا فاعل» قال قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال:«اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال:«فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال:«فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»[٢].

واليوم لسنا بحاجة إلى أن نتبع فلاناً لننظر ماذا يفعل، ولن نستطيع أن نسأل النبي ﷺ أن يشفع لنا ونسأله أين نلقاه، لكن أبواب الخير وطرقه والأسباب التي يحصل بها المرء بإذن الله على الشفاعة قد بينها لنا ﷺ أتم بيان، فلم يبق إلا العمل.

ومن رحمة الله بعبادة أن وسع لهم أبواب التقرب والعبادة من تلاوة وذكر وصيام وصدقة، فيشعر المسلم أن أبواب الخير واسعة، ومجالات الإحسان ليست قاصرة على نوع من أنواع الطاعات.

فعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:« أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة» قال حسان: فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة[٣].

---

(١) رواه أحمد (٣/١٦٦)

(٢) رواه الترمذي (٢٤٣٣) وأحمد ٣/١٧٨(١٢٨٣١)

(٣) رواه البخاري (٢٦٣١)

الزهد والورع

وفي الورع والزهد كان لشباب أصحاب النبي ﷺ نصيب وافر، فيشهد المفضل الغلابي لاثنين من شباب الصحابة بأنهما من أزهد الأنصار، وهما **عمير بن سعد وشداد بن أوس** -رضي الله عنهما- فيقول:«زهاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعمير بن سعد» [(١)].

ويشهد عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- **لابن عمر** -رضي الله عنهما- بالورع والتقوى فيقول :«لقد رأيتنا ونحن متوافرون وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر» [(٢)].

ويشهد له بالزهد والبعد عن الدنيا إذ يقول:«إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر» [(٣)].

ويثنّي على هذه الشهادة صحابي آخر هو جابر -رضي الله عنه- فيقول:«ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر» [(٤)].

وهاهو طاووس رحمه الله يقول :«ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس»[(٥)] .

وقال :«ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمات الله من **ابن عباس**» [(٦)].

وقال ابن سعد عن **قثم بن عباس** -رضي الله عنه- :«وكان قثم ورعاً

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠٥/٢)
(٢)سير أعلام النبلاء (٢١١/٣)
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١١/٣)
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١١/٣)
(٥) سير أعلام النبلاء (٣٥٠/٣)
(٦)سير أعلام النبلاء (٣٤٢/٣)

فاضلاً»[١].

إن الزهد أمارة على حقارة الدنيا في قلب صاحبها؛ الدنيا التي لا تعني المال وحده، بل هي كل متاع عاجل لا يعدو المال أن يكون واحداً من أصنافه وألوانه.

والورع حاجز يحول بين المرء وبين كثير مما تدفعه له نفسه خشية الوقوع في المحظور وارتكاب الحرام، وما أهون الامتناع عن المعصية عند أولئك الذين يتورعون عما يشتبهون فيه ويلتبس أمره عليهم.

والنفس أبية عصية تحتاج إلى مجاهدة وترويض، فهذه المراتب لا تكتسب بالتمني ولا تدرك بين يوم وليلة، بل هي نتاج تربية للنفس وأطر لها على الحق، وأخذ بزمامها عن الباطل.

الخوف من الله والبكاء من خشيته:

لقد أثنى الله تبارك وتعالى على الذين يبكون من خشيته ووصف عباده الصالحين الذين أوتوا العلم بأنهم ﴿**يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**﴾ (الإسراء:١٠٩) ووصفهم بأنهم ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً**﴾ (مريم: ٥٨).

وجاءت السنة النبوية بفضله فمن ذلك: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٢].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله

---

(١) الطبقات الكبرى. الطبقة الخامسة (١/٢١٤)

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٩) والنسائي (٣١٠٧) وابن ماجه (٢٧٧٤)

ودخان جهنم»[١].

وحيث كان أصحاب النبي ﷺ أخشى الأمة لله بعد نبيها ﷺ فقد كانوا من أرق الناس أفئدة، وأكثرهم دمعة، فمن ذلك ماذكره أهل السير عن **عبدا لله ابن حنظلة** -رضي الله عنه- أن سمع قارئاً يقرأ ﴿**ومن فوقهم غواش**﴾ (الأعراف: ٤١) فبكى حتى ظنوا أن نفسه ستخرج، ثم قام، فقيل: ياأبا عبدالرحمن، اقعد، فقال: منع من ذكر جهنم القعود، ولا أدري لعلي أحدهم[٢].

ولم يكن أولئك -رضي الله عنهم- يقتصرون على الخوف وحده، فقد كانوا يجمعون بين الخوف والرجاء، فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله أني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»[٣].

استعظام الذنوب:

إن المؤمن التقي الذي يخاف ربه ويخشاه يستعظم معصيته، وتشق عليه وإن استهان بها الناس، وقد كان هذا الجيل المبارك يعيش هذا الشعور الذي يحدثنا عنه أحد الشباب وهو **أنس بن مالك** -رضي الله عنه- فيقول: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»[٤].

ويؤكد هذا المعنى شاب آخر هو **أبو سعيد الخدري** -رضي الله عنه- فيقول: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٣)

(٢) أسد الغابة (٣/٢٢٠)

(٣) الترمذي (٩٨٣) وابن ماجه (٤٢٦١)

(٤) رواه البخاري (٦٤٩٢)

رسول الله ﷺ من الموبقات»[١].

ويقف المسلم أمام هذا الأثر مشدوهاً متسائلاً. يقول ذلك أنس وأبو سعيد -رضي الله عنهما-للتابعين مصورين النسبة بين رؤية أولئك لذنوبهم ورؤية أصحاب النبي ﷺ، ويتساءل في نفسه ماذا عسى أن تكون ذنوب أولئك التابعين؟ وكيف تكون النسبة بين رؤيتنا لذنوبنا وتقصيرنا وبين ذاك الجيل؟ وماذا عسى أنساً وأباسعيد -رضي الله عنهما- أن يقولا لو رأيا ما نحن عليه؟ .

ويصور آخر وهو **عبدالله بن عمرو بن العاص** -رضي الله عنهما- نفس المؤمن حين يواقع الخطأ هذا التصوير فيقول:«لنفس المؤمن أشد ارتكاضاً من الخطيئة من العصفور حين يقذف به »[٢].

ولعلك تشاركني الفهم أن هناك فرقاً بين ما يراه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- خطيئة وبين ما نراه نحن كذلك.

إن استعظام الذنب يتولد منه لدى صاحبه استغفار وتوبة، وبكاء وندم، وإلحاح على الله عز وجل بالدعاء وسؤاله تخليصه من شؤمه ووباله، وما يلبث أن يولد دافعاً قوياً يمكّن صاحبه من الانتصار على شهوته والسيطرة على هواه.

أما أولئك الذين يحتقرون الذنب فيشعر أحدهم بالندم ويعزم على التوبة، لكنها عزيمة ضعيفة سرعان ما تنهار مرة أخرى أمام دواعي المعصية.

---

(١) رواه أحمد ٣/٣ (١١٠٠١)

(٢)رواه ابن المبارك في الزهد (٧٢)

الدعوة إلى الله

لقد كان مما أدركه شباب أصحاب النبي ﷺ أن انتماءهم لهذا الدين يحتم عليهم أن يعيشوا قضيته، وأن يكون لهم دور في الدعوة إليه وتعبيد الناس لربهم عز وجل، خاصة وقد كانوا يعيشون في مرحلة استضعاف للمسلمين وغربة للدين.

وقد كانوا -رضوان الله عليهم- وهم السابقون للخيرات يدركون عظم منزلة من يدعو إلى الله عز وجل فهو أحسن الناس قولاً كما قال أصدق القائلين ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**﴾.

وهم أسعد الناس بفضيلة الداعي إلى الخير التي حض عليها الداعي الأول ﷺ إذ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[1].

ومن صور مشاركة شباب أصحاب النبي ﷺ في الدعوة موقف **فتيان بني سلمة** مع عمرو بن الجموح -رضي الله عنه-، فكان قد تأخر إسلامه، وكان له صنم يقال له مناف، وكان فتيان بني سلمة قد آمنوا، فكانوا يمهلون، حتى إذا ذهب الليل دخلوا بيت صنمه فيطرحونه في أنتن حفرة منكساً، فإذا أصبح عمرو غمه ذلك، فيأخذه ويغسله ويطيبه، ثم يعودون لمثل فعلهم فأبصر عمرو شأنه وأسلم، وقال أبياتاً منها:-

والله لو كنت إلهاً لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لمثواك إلهاً مستدن ... الآن فتشناك عن شر الغبن[2]

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)

(٢) سيرة ابن هشام(٢/٩٧-٩٨) وأسد الغابة(٤/١٩٥) وانظر سير أعلام النبلاء (١/٢٥٤)

إن هذا الأسلوب ليس هو الأسلوب الأوحد الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة في كل وقت وموقف، وهو هنا كان الأفضل والأولى بدليل النتيجة، لكنه ربما لم يكن مناسباً في موطن آخر.

فيجدر بشباب اليوم أن يدركوا أن لكل مقام مقالاً، ولكل موطن الأسلوب الذي قد لا يسوغ في الموطن الآخر، فينبغي أن نضع هذه القضية نصب أعيننا ونحن ندرس تجارب السلف، بل ونحن نقرأ التجارب الحية التي تمر بنا، فلا يقودنا نجاح أسلوب في موطن من المواطن إلى أن نعممه في كل مناسبة.

وحين كان المسلمون مستضعفين بمكة يستخفون بإسلامهم من أذى قريش أرادوا أن يسمعوهم القرآن، فكان أول من انتدب لذلك أحد الشباب وهو **عبدالله ابن مسعود** -رضي الله عنه- فكان هو أول من جهر بالقرآن في مكة [1].

للشباب دور في دعوة يهود:

عن **سلمة بن سلامة بن وقش** -وكان من أصحاب بدر- قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً علي بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٤١)

النار غداً، قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوا الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا: ويلك يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به [1].

تكليفه ﷺ الشباب بدعوة قومهم:

وقد كان ﷺ يكلف الشباب بالدعوة إلى الله تعالى، فعن **مالك بن الحويرث** -رضي الله عنه- قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه قال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم، وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» [2].

فأين هذا التوجيه النبوي الكريم من حال أولئك القاعدين المتخاذلين، والذين يبررون قعودهم بتوظيف ما أوتوا من علم في أن يثبطوا غيرهم عن الدعوة إلى الله ونشر الخير لدى الناس، بحجة أن الدعوة قضية لا يقوم بها إلا الأكابر، وحتى إنكار المنكر فهو عند بعض هؤلاء قضية تحتاج إلى فقيه عالم بالناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد!

نعم إن تصدر الأغرار لما لا يحسنون لا يسوغ بحال، والدين الإسلامي ليس ميداناً مباحاً لكل متحدث وناعق، لكن حين يدعو الإنسان لما يعلم من أمور الدين

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٦٧ (١٥٨٧٤)

(٢) رواه البخاري (٦٣١)

وما يحسن فهو واجب ينبغي أن يتربى الناشئة عليه، وأن يسيروا عليه كما كان ﷺ يربي شباب أصحابه على ذلك.

إن بعض الأخيار والغيورين تدفعهم الغيرة على الدين إلى قصر قضية الدعوة وإنكار المنكرات على فئة خاصة من الناس تملك قدراً من العلم ربما لا يوجد في عصرنا إلا لدى آحاد من الناس، وقد غاب عن هؤلاء التفريق بين التصدر للدعوة والانتصاب للناس، وبين الجهد المحدود الذي يقوم به كل مسلم في الدعوة إلى معروف يعلمه، أو إنكار منكر لا يجهل حرمته.

فيجدر بالشباب المتأسين بأصحاب النبي ﷺ السائرين على نهجهم أن يتخذوا الدعوة إلى الله سبيلاً، وأن يساهموا في نشر الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعاتهم.

إن هناك ألواناً من الفساد والانحراف قد تفشت في مجتمعات المسلمين وانتشرت انتشار النار في الهشيم، وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فلا يسوغ لأحد من المسلمين العالمين بها القعود عن الدعوة إلى تصحيحها وإنكارها.

وهو باب عظيم من أبواب الخير تسلكه حين تأخذ بيد زميل لك في المدرسة، أو جار لك في الحي، فتتحدث وإياه حول قضية التوبة والرجوع إلى الله، وتفتح الأمل أمامه، وتقنعه بأنه قادر على أن يبدل حاله وأن يتدارك نفسه قبل فوات الأوان، أو أن تهدي له كتاباً أو شريطاً، أو تمسك بقلمك لتخط له رسالة مناصحة وإقناع، فهل هذا أخي الشاب أمرٌ في غاية الصعوبة؟ أم هل تظن أن هذا يحتاج إلى رجل متعمق في المعقول والمنقول؟.

وحين تسأل نفسك: كم هم الشباب الذين زاملتهم وعشت وإياهم و لم يسمعوا مني دعوة أو نصيحة أو كلمة؟ تدرك عظم الفرص التي قد تكون فوتها على

نفسك.

وحين يسمع الشاب أحد زملائه يطلق كلمة نابية، أو يجاهر بفعل لا يليق بالمسلم، فيأخذ بيده ويوجه له النصيحة، أليس هذا من إنكار المنكر والدعوة التي تجب على كل مسلم أياً كان علمه وشأنه؟

وعلى المدى الأبعد والأوسع ينبغي أن يدرك الشباب أن مسئولية الدعوة إلى الله تتطلب منهم العناية بإعداد أنفسهم بتعلم العلم الشرعي، وتزكية النفس وإصلاحها، والوعي بالدعوة وأساليبها وواقع مجتمعاتهم لعل الله أن يكتب الخير على يديهم بإذنه.

علو المنزلة عند صاحب الرسالة

لقد كان لجمع من شبان أصحاب النبي ﷺ منزلة عالية عند صاحب الرسالة ﷺ، ولاشك أن تحقيق رضا النبي ﷺ سبيل لرضا الله تعالى عنهم، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه.

وهذه إشارات إلى جوانب من ذلك:-

أولاً: حبه لهم:

أسامة حِبُّ النبي ﷺ :

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمر عليهم **أسامة بن زيد**، فطعن الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» (١) .

ولهذا حين أهم قريشاً شأنُ المخزومية التي سرقت قالوا: «من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ؟» (٢).

وهاهو ابن عمر -رضي الله عنهما- يعبر عن هذا المعنى فعن عبدالله بن دينار قال: نظر ابن عمر يوماً -وهو في المسجد- إلى رجل يسحب ثيابه من ناحية المسجد، فقال: انظر من هذا، ليت هذا عندي، قال له إنسان: أما تعرف هذا يا أبا عبدالرحمن؟ هذا محمد بن أسامة، قال: فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده في الأرض،

---

(١) رواه البخاري (٣٧٣٠)

(٢) رواه البخاري (٣٧٣٢)

ثم قال:«لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه» (١).

الحسن والحسين وحبه لهما:

وهو أمر يحدثنا عنه حب النبي ﷺ أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- إذ حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: «اللهم أحبهما فإني أحبهما» (٢).

ويروي البراء -رضي الله عنه- هذا عنه ﷺ فيقول: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه» (٣).

وقد كان هو وأخوه ريحانتي النبي ﷺ في الدنيا، فحين سأل رجل عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن المحرم -قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب- فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ :«هما ريحانتاي في الدنيا؟» (٤).

الزبير من أحب الناس له ﷺ:

حين أصاب عثمان -رضي الله عنه- رعاف شديد سنة الرعاف حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف، قال: وقالوه، قال: نعم، قال: ومن؟ فسكت، فدخل عليه رجل آخر -أحسبه الحارث- فقال استخلف، فقال عثمان: وقالوا؟ فقال: نعم، قال: ومن هو؟ فسكت، قال: فلعلهم قالوا الزبير؟ قال: نعم، قال: «أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى

---

(١) رواه البخاري (٣٧٣٤)
(٢) رواه البخاري (٣٧٣٥)
(٣) رواه البخاري (٣٧٤٩)
(٤) رواه البخاري (٣٧٥٣)

رسول الله ﷺ »[١].

حبه ﷺ لصبيان الأنصار:

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال من عرس فقام النبي ﷺ ممثلاً:«فقال اللهم أنتم من أحب الناس إلي»وفي رواية: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال:«والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي مرتين»[٢].

ثانياً: اهتمامه بهم:

لقد كان ﷺ يولي أولئك الشباب اهتماماً وعناية تليق بهم، ومن صور اهتمامه ﷺ بهم **إجابته لدعوتهم**، فعن **عبدالله بن بسر المازني** -رضي الله عنهما- قال:«بعثني أبي إلى رسول الله ﷺ أدعوه إلى الطعام، فجاء معي، فلما دنوت المنزل أسرعت فأعلمت أبوي... الحديث»[٣].

إن أمر بسر -رضي الله عنه- لولده بدعوة النبي ﷺ لم يكن ناشئاً من قلة شأن النبي ﷺ لديه بل كان نتيجة النظرة الطبيعية لابنه وهو في مثل هذا السن، وهاهو النبي ﷺ يعرف للشاب قدره فيأتي معه، ويستجيب للدعوة.

والموقف يتكرر مع أبي طلحة و**أنس بن مالك** - رضي الله عنهما - فعن أنس -رضي الله عنه- أن أم سليم أمه عمدت إلى مد من شعير جشّتْهُ وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها، ثم بعثني إلى النبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته،

---

(١) رواه البخاري (٣٧١٧)

(٢) رواه البخاري (٣٧٨٥-٣٧٨٦) ومسلم (٢٥٠٨)

(٣) رواه أحمد ١٨٨/٤ (١٧٦٩٥)

قال:«ومن معي؟» فجئت فقلت: إنه يقول ومن معي، فخرج إليه أبو طلحة قال: يا رسول الله، إنما هو شيء صنعته أم سليم فدخل فجيء به وقال أدخل علي عشرة فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال أدخل علي عشرة فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال أدخل علي عشرة حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ﷺ ثم قام فجعلت أنظر هل نقص منها شيء[١].

لقد كانت البيئة التربوية تمارس أثرها الفعال في صنع تلك النفوس العالية السامقة، وكانت تترك آثارها واضحة على ذلك الجيل المبارك.

وهي وحدها لم تكن لتتولد منها هذه النظرة لو لم تصاحبها نفوس مستعدة ومتأهلة من أولئك الشباب، ولو لم تكشف التجارب والأحداث أنهم كانوا على مستوى المسئولية وما يراد منهم فعلاً.

ومن إجابته ﷺ لدعوتهم أن **أبا أسيد الساعدي** -رضي الله عنه- دعا رسول الله ﷺ في عرسه، فكانت امرأته خادمهم يومئذ وهي العروس [٢].

ويتجاوز الأمر إجابة دعوتهم، فقد دعا **جابر بن عبدالله** -رضي الله عنهما- إلى طعامه فعنه -رضي الله عنه- قال :كنت جالساً في داري فمر بي رسول الله ﷺ فأشار إلي فقمت إليه فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت الحجاب عليها فقال:«هل من غداء؟» فقالوا: نعم، فأتي بثلاثة أقرصة فوضعن على نبي[٣] فأخذ رسول الله ﷺ قرصاً فوضعه بين يديه، وأخذ قرصاً آخر فوضعه بين يدي، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه

---

(١) رواه البخاري (٥٤٥٠) ومسلم (٢٠٤٠)
(٢) رواه أحمد ٤٩٨/٣ (١٦٠٦٨)
(٣) مائدة من خوص، روي (بتّي) والبت كساء من وبر أو صوف فلعله منديل وضع عليه هذا الطعام (شرح النووي لمسلم٢٥١/١٣)

بين يدي، ثم قال:«هل من أدم؟» قالوا: لا إلا شيء من خل، قال:«هاتوه فنعم الأدم هو[1]».

ولقد كان ﷺ **وهو في مجالسه التي يحضرها كبار القوم يعرف للشباب قدرهم** فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال أتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره، فقال:« يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟» قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه[2] .

وحين يمرض أحدهم يعوده فعن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال: أصابني رمد، فعادني النبي ﷺ ، قال: فلما برأت خرجت، قال فقال لي رسول الله ﷺ:«أرأيت لو كانت عيناك لما بهما[3]، ما كنت صانعاً؟» قلت: لو كانت عيناي لما بهما صبرت واحتسبت، قال:«لو كانت عيناك لما بهما ثم صبرت واحتسبت للقيت الله عز وجل ولا ذنب لك» [4].

ولعلك تشاركني الشعور أن زيداً -رضي الله عنه- ربما فرح بهذا المرض الذي كان سبباً في عيادة النبي ﷺ له وسؤاله عنه، ثم في دعائه له وبشارته له بالخير.

وفي الحج أخر ﷺ الإفاضة من عرفة من أجل **أسامة** ينتظره، فجاء غلام أسود أفطس، فقال أهل اليمن:إنما جلسنا لهذا! فلذلك ارتدوا - يعني أيام الردة- [5].

إن أولئك الذين اعترضوا على تأخيره ﷺ الناس من أجل أسامة لم يكونوا يدركون هذا القلب العظيم الذي يسع أمثال هؤلاء الفتيان في مثل هذا الموضع، و لم

---

(١) رواه مسلم (٢٠٥٢)
(٢) رواه البخاري (٢٣٥١) ومسلم (٢٠٣٠)
(٣) أي أصيبتا بسوء كفقد إبصارهما (الفتح الرباني ١٩/١٣٥)
(٤) رواه أحمد ٤/٣٧٥ (١٩٣٦٩) وأبو داود (٣١٠٢) مختصراً
(٥) الطبقات (٤/) وانظر السير (٢/٥٠٠)

يكونوا يدركون موضع أسامة من صاحب الرسالة ﷺ فهو حبه وابن حبه.

وأولئك الذين لهم مواقف مشهودة كانوا يحظون بالعناية والاهتمام من صاحب القلب الرحيم ﷺ فهاهو **سلمة بن الأكوع** -رضي الله عنه- يقول: «أردفني رسول الله ﷺ مراراً، ومسح على وجهي مراراً، واستغفر لي مراراً عدد ما في يدي من الأصابع» [(١)].

ثالثاً: تقديمهم وتصديرهم:

إن المسئوليات والمهام في المجتمع المسلم لا تعرف اعتباراً غير الكفاءة والتأهل، لذا فأنت حين تقرأ التاريخ الإسلامي ستجد مواقف من تحميل المسئوليات والتولية خولفت فيها القواعد المرعية عند كثير من المجتمعات التي كبلتها هذه الاعتبارات، فقعدت بها عن استثمار فرص مهمة والاستفادة من طاقات منتجة.

ولقد كان لشباب الصحابة وصغارهم نصيب من ذلك، فمن تأهل منهم لتحمل المسئولية والأمانة حُمِّل إياها، وهذا يعكس أموراً عدة منها:-

١ - ثقة الرسول ﷺ بأصحابه وتربيتهم على ذلك.

٢ - أن الشباب يملكون القدرات الكثيرة، ويحملون الاستعداد للقيام بالمهام العظام.

٣ - وهو يعكس أيضاً ما كان عليه أولئك الشباب من تأهل وجدية واستعداد لمعالي الأمور؛ إذ لم تكن تلك الأدوار لتعطى إياهم وهم ليسوا أهلاً لها.

وحين نتصفح السيرة النبوية سنرى قائمة من المواقف المتفاوتة والتي تحمَّل فيها الشباب أدواراً مهمة ومنها:-

---

(١) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/٣٦٣) وانظر السير (٣/٣٣٠)

الإمامة والإمارة:

فحين أراد النبي ﷺ أن ينصب إماماً لبعض من وفدوا عليه طبّق المقياس الشرعي فسأل عن أكثرهم قرآناً فإذا هو **عمرو بن سَلِمَة الجرمي** -رضي الله عنه- فنصب إماماً لهم وهو غلام صغير، وبقيت هذه المسئولية لديه فكان كما قال -رضي الله عنه- :«فما شهدت مجمعاً من جرم إلا كنت إمامهم، وأصلي على جنائزهم إلى يومي هذا» [١].

وأنت قد لا تدرك قيمة هذه المسئولية إلا حين تضيف لذلك أنه أول إمام لقومه في الإسلام، وأنه كان يؤم قومه أجمع وليس مسجداً من مساجد الأحياء، وأنه قد شرفه بذلك النبي ﷺ. كل ذلك يجعل منها مسئولية ليست كسائر المسئوليات.

وأقام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- **معاذ بن الحارث بن الأرقم** يصلي التراويح[٢].

وحين قدم عليه ﷺ وفد ثقيف وكان فيهم **عثمان بن أبي العاص** -رضي الله عنه- وهو أصغر الوفد سناً ولاه عليهم وأمره بإمامتهم، ووجهه قائلاً:«أم قومك، فمن أم قوماً فليخفف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء» [٣].

وولى ﷺ **عتاب بن أسيد** أميراً على مكة وكان عمره حين استعمل نيفاً وعشرين سنة، وأثبت -رضي الله عنه- أنه أهل لهذه الإمارة فعن عمرو بن أبي عقرب قال: سمعت عتاب بن أسيد، وهو مسند ظهره إلى بيت الله، يقول: «والله

---

(١) رواه أحمد ٣٠/٥ (٢٠٣٥٥)

(٢) الإصابة (١١٠/٦)

(٣) الحديث في مسلم (٤٦٨) وأصل القصة عند الطبراني كما في المجمع (٣٧١/٩) وعند ابن سعد (٤٧/٦)

ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان»[١].

ويعرف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأحدهم فضله فيقول:«وددت لو أن لي رجلاً مثل **عمير** أستعين به في أعمال المسلمين».

إن تولية النبي ﷺ لهؤلاء لم يكن إهمالاً لشأن الولاية على المسلمين واستخفافاً بقدرهم، و لم يكن إرضاء لعواطف ومشاعر الشباب، إنما لأن مثل هذا الرجل كان في هذا الموطن هو الأصلح، ولو صار الأصلح هو الأكبر سناً فسيكون الأولى بالإمارة دون شك.

والعبرة في ذلك أن هؤلاء الشباب كانوا يملكون من الصفات مايؤهلهم لذلك، ولكن لو كان هذا الشاب قليل العلم والخبرة محدود التفكير، فلا يسوغ أن يتحمل من أمور المسلمين مالايطيق.

الاطلاع على أسرار المسلمين:

حين قدم النبي ﷺ إلى المدينة كان **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- من شباب الصحابة المسابقين للعلم فبز أقرانه وفاقهم، فعن خارجة بن زيد أن أباه زيداً أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة قال زيد ذهب بي إلى ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال:« يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي» قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب[٢].

---

(١) الإصابة (٤/٣٥٦)

(٢) رواه أحمد (٥/١٨٦) والترمذي (٢٧١٥) وأبو داود (٣٦٤٥)

ولقد كانت مهمة صعبة تلك التي اختير لها زيد -رضي الله عنه-، إذ سوف يصبح مطلعاً على كل ما يرد من النبي ﷺ لليهود، أو ما يرد منهم إليه، وهي أسرار مهمة في حياة المسلمين يطلع عليها -رضي الله عنه- وهو لمّا يبلغ العشرين بعد، ويثق ﷺ بأمانته وقدرته على نقل كلامه لليهود، ونقل كلامهم له كما هو في الواقع.

كتابة الوحي:

و لم يقف الأمر عند هذا الحد مع **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- بل تجاوزه إلى ما هو أعظم من ذلك فيأتمنه ﷺ على ما هو أهم من ذلك كله، بل ما يخص حياة المسلمين والأمة أجمع وليس أهل عصره فقط.

فاختاره ﷺ لكتابة الوحي، ويقبس أبو بكر من هذا الهدي النبوي ويتكئ على هذا التوثيق من صاحب الرسالة ليكلفه -رضي الله عنه- بجمع القرآن فيقول له:«يا زيد إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه». فيشعر زيد -رضي الله عنه- إذ ذاك بثقل المسئولية وعظم التبعة، فيقول:«فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن» [١].

قيادة الجيش:

ومن أعظم هذه المواقف التي يتجلى فيها هذا الأمر توليته ﷺ **أسامة بن زيد** -رضي الله عنهما- مهمة صعبة عظيمة ينوء بها الرجال الأشاوس فضلاً عن الشباب.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٩)

وكان قد أمرَّه بذلك في سرية الحرقات من جهينة كما قال-رضي الله عنه-: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال:«يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

وأورد البخاري رحمه الله هذا الحديث في باب (بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقات من جهينة) ثم أورد بعد هذا الحديث بسنده قول سلمة -رضي الله عنه-:« غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات، مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة»[2].

ولقد كان ﷺ مربياً عظيماً يدرك أن أصحابه حين يقع أحدهم في الخطأ وينبه عليه سيتجاوزه، لذا وبعد هذه الواقعة أمره ﷺ على جيش أكبر من ذلك، ألا وهو الجيش الذي سيغزو الروم وشعر بعض الناس أن هذه المهمة ربما ينوء بها أسامة - رضي الله عنهما-، وأنه لو ولي غيره كان أولى فبين النبي ﷺ ذلك لهم، كما روى هذا الخبر أحد الشباب من أصحاب النبي ﷺ - وهو ابن عمر -رضي الله عنهما- - أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال:«إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦)
(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)
(٣) رواه البخاري (٤٤٦٩) ومسلم (٢٤٢٦)

وأمر رسول الله ﷺ **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه- على جيش، كما روى ذلك عمران بن حصين -رضي الله عنهما- قال:«بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب؛ فمضى في السرية... »[(١)].

إمارة السرايا وحمل اللواء:

وفي فتح مكة حمل لواء أشجع أحد الشبان من الصحابة، ألا وهو **معقل بن سنان الأشجعي**[(٢)].

وأحد الذين حملوا راية جهينة يوم الفتح كان من الشباب وهو **معبد بن خالد الجهني** -رضي الله عنه-.

وحمل اللواء في بدر أحد الشبان وهو **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه-.

وأرسل **أبا قتادة** -رضي الله عنه- طليعة كما روى عنه ابنه عبدالله أن النبي ﷺ بعثه في طليعة قبل غيقة وودان وهو محرم، وأبو قتادة غير محرم[(٣)].

وأرسل أحد الشبان في سرية وهو **حمزة بن عمرو الأسلمي**، كما روى ذلك أبو داود في سننه عنه أن رسول الله ﷺ أمره على سرية، قال: فخرجت فيها، وقال:«إن وجدتم فلاناً فأحرقوه بالنار»، فوليت فناداني فرجعت إليه، فقال:«إن وجدتم فلاناً فاقتلوه ولا تحرقوه؛ فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار»[(٤)].

وبعد وفاة النبي ﷺ سار المسلمون على هذا المنهج والمسلك، ففي معركة من معارك الإسلام الفاصلة، وفي لقاء عدو من أعداء المسلمين الأشاوس ألا وهم الروم، في معركة اليرموك شهد **حبيب بن مسلمة** أحد صغار الصحابة هذه الغزوة أميراً

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٢)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٦)

(٣) رواه أحمد ٥/٣٠٧ (٢٢٦٧٨) وأصله في الصحيحين دون موضع الشاهد.

(٤) رواه ابو داود (٢٦٧٣) وأحمد ٤/٤٩٤ (١٦٠٤٠)

وقد كان عمره في تبوك أحد عشر عاماً، وكان له نكاية في العدو، ويقال له: حبيب الروم لكثرة دخوله بغزوهم [(١)].

التولية على المال:

قد تكون المسئوليةُ حملَ لواء في معركة، أو قيادة سرية أو كتيبة وهي مسئولية لا ينبغي أن يتولاها إلا من يستحقها فعلاً، لكنها قد تكون غير ذلك كالتولية على المال، حفظاً أو قسمة، وهي لا تقل عن سابقتها، وحيث كان شباب أصحاب النبي ﷺ مؤهلين لذلك فما الذي يمنع من توليهم هذه المهام؟

لأجل ذلك ولى المسلمون **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- قسمة الغنائم يوم اليرموك[(٢)].

وولى أبو بكر -رضي الله عنه- أحدَهم على الزكاة كما روى ثمامة بن عبدالله بن أنس أن **أنساً** -رضي الله عنه- حدثه: أن أبا بكر -رضي الله عنه- كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين:« بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين...» [(٣)].

ولاية الحسبة:

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل على سوق المدينة أحد الشباب، وهو **السائب بن يزيد** -رضي الله عنه- ومعه سليمان بن أبي خيثمة وعبد الله بن عتبة بن مسعود[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٩)
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٧)
(٣) رواه البخاري(١٤٥٤)
(٤) الإصابة (٣/٢٣)

إن هذه المواقف تحمل في طياتها أموراً عدة منها:-

١ - أن الشباب قادرون على تحمل الكثير من المسئوليات والأعباء خلاف ما نتصوره الآن عنهم.

٢ - أن أولئك -رضوان الله عليهم- كانوا على قدر من الأمانة والتربية والقدرة حتى حملهم المسلمون تلك المسئوليات، ولم يكن النبي ﷺ وصحابته يجازفون في تحميل المسئولية من لا يطيقها.

٣ - أن المسئولية مع ماتعكسه من ثقة وائتمان فهي تعكس العمل والطاقة الفعالة لدى هؤلاء، ولقد كان يترتب على تلك المسئوليات الشعور بالعبء والعمل الجاد المتواصل، وهو ما عبر عنه أحدهم وهو زيد بن ثابت -رضي الله عنه- إذ قال: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن» [(١)].

إن هذه المواقف لن يقف أثرها على الشاب حين يقرأها على تمني أن يكون قد شارك في مثل هذه المسئوليات والأدوار، إنما يسعى إلى أن يحقق في نفسه تلك الصفات التي اتصف بها سلف الأمة من أقرانه، ويسعى للاقتراب منهم عل خفاً يقع على خف.

رابعاً: الثقة بهم وائتمانهم:

ومن ذلك: أمره ﷺ **لأسماء بن حارثة** -رضي الله عنه- بتبليغ قومه صيام عاشوراء، فعن يحيى بن هند بن حارثة، عن أبيه -وكان من أصحاب الحديبية، وأخوه الذي بعثه رسول الله ﷺ يأمر قومه بصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٩)

حارثة- أن رسول ا لله ﷺ بعثه فقال :«مر قومك فليصوموا هذا اليوم» قال: أرأيت إن وجدتهم قد طعموا؟ قال :«فليتموا بقية يومهم»[1].

إن الثقة فيهم من رسول ا لله ﷺ لتعطي أعظم الدليل على أن الشباب في مثل هذه السن يمكن أن يرقوا إلى مثل هذا المستوى فهل يعقل شباب الأمة اليوم ومن يقوم على تربيتهم هذا الأمر؟ ثم إنه يعكس أيضاً ذلك القدر من الأمانة والكفاءة التي وصل إليها أولئك الشباب حتى استحقوا ثقة صاحب الرسالة ﷺ.

وهذا الخبر يظهر لنا فقهه -رضي ا لله عنه- وفطنته، فحين أمره ﷺ بأمر قومه بالصيام تبادر لذهنه أنهم قد يكونوا لم يصوموا وطعموا في جزء من النهار فماذا يفعل في هذه الحالة؟

دار الأرقم:

من الذي قرأ شيئاً في السيرة و لم يعرف عن دار الأرقم؟ أو لم يسمع :أسلم فلان قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وبايع فلان النبي ﷺ في دار الأرقم؟

فلمن تنسب هذه الدار؟ إنها دار **الأرقم بن أبي الأرقم** -رضي ا لله عنه- الذي كان عمره حينها قريباً من عشرين سنة، يختارها ﷺ لتكون موطناً لاجتماعه بأصحابه ولقائه بهم ليختفوا عن قريش وكيدها وتآمرها.

استشارتهم:

وتبلغ ثقته ﷺ بشباب أصحابه أن يستشير أحدهم في قضية خطرة وخاصة، ففي حادثة الإفك التي اتهمت فيها زوجه عائشة -رضي ا لله عنها-، وصار الحديث يموج في المدينة يستدعي ﷺ أحد الشباب من الصحابة كما تحدثنا صاحبة الشأن -

---

(١) رواه أحمد ٧٨/٤ (١٦٧٢١)

رضي الله عنها: «ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب **وأسامة بن زيد** حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله».

وأثبت أسامة -رضي الله عنهما- حينها أنه أهل للاستشارة، والثقة في أم المؤمنين -رضي الله عنها-، تقول عائشة في حديثها: «قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله، هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً...» [١].

ومتى استشير أسامة -رضي الله عنه- في هذه القضية؟ استشير وكبار أصحاب النبي ﷺ متوافرون، ليبني لنا ﷺ منهجاً في الاستشارة في أمورنا كلها.

إن العمل والإبداع ليس حكراً على الجهد البدني الجسمي، بل هو يأخذ مدى أبعد من ذلك، ليشمل استثمار كل طاقة منحها الله الإنسان من بدن ونشاط، وعقل وفكر ومشاعر وعواطف، لتوظف تلك الطاقة في خدمة الأمة، لذا كانت مواقف شباب أصحاب النبي ﷺ شاملة ذلك كله.

المحالفة في بيت أنس:

ويختار ﷺ بيت أحد الشباب ليكون مكاناً لمحالفة ولقاء تاريخي ألا وهو المحالفة بين المهاجرين والأنصار، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: «حالف رسول ﷺ بين الأنصار وقريش في داري التي بالمدينة» [٢].

خامساً: تحمل الأدوار الصعبة:

ربما كانت بعض المهام تحمل في طياتها قدراً من الإغراء بالتصدر والظهور أمام

---

(١) رواه مسلم (٢٧٧٠)

(٢) رواه البخاري (٧٣٤١) ومسلم (٢٥٢٩)

الناس وإن كان أصحاب النبي ﷺ هم أبعد الناس عن ذلك كله ، وهم -رضوان الله عليهم- أهل الورع والخشية، وهم أعرف الناس بقدر النفوس وأدوائها، لكننا حين نقرأ السيرة النبوية فإننا سنرى أننا أمام أدوار تحمل من الصعوبة والمخاطرة أكبر بكثير من الثمن الذي تدفعه لصاحبها من التصدر -لو كان يبحث عن ذلك- ومع ذلك لا يتردد شباب أصحابه ﷺ في تحملها.

الموقف الأول:

أسلم **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه- وهو ما يزال صبياً في بدء الإسلام بل هو أول من أسلم من الصبيان، وأدرك -رضي الله عنه- أن المرحلة التي كان يعيشها من تاريخ الدعوة تقتضي منه أن يساهم في حمل أعباء الدعوة، ويشارك في البلاغ.

ومن المواقف التي وقفها -رضي الله عنه- ما يرويه لنا أبو ذر -رضي الله عنه- في قصة إسلامه حين سأل علياً -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال له علي:«فإنه حق وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني؛ فإني إن رأيت شيئاً نزلت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه» [1] .

لقد كان علي -رضي الله عنه- يدرك خطورة هذا الموقف وهذا العمل، ويعلم تمام العلم ما هي عقوبة هذه الجريمة الشنيعة بمقاييس قريش آنذاك.

الموقف الثاني:

ومع **علي** -رضي الله عنه- في موقف آخر أشد صعوبة وأعظم مخاطرة، ففي

---

(١) رواه مسلم (٢٤٧٤)

حادث الهجرة تآمرت قريش على النبي ﷺ كما قال تعـالى ﴿**وإذ يمكـر بـك الذيـن كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكـر ا لله وا لله خـير المـاكرين**﴾ (الأنفال: ٣٠) وتجعل قريش آنذاك لمن يأتي بالنبي ﷺ حيـاً أو ميتـاً مائـة ناقـة، وتسـتنفر قريش طاقتها وقوتها، ويهب الناس للفوز بهذه الجائزة، ويقرر ﷺ أن يخـرج بعـد أن أذن ا لله له بالهجرة.

وفي مثل هذه الظروف الصعبة كان الموقف يتطلب أن لا يعلم أحد عن ذلـك، وأن تقتصر دائـرة مـن يعلـم -ولـو كـان مـن المسلمين - علـى مـن يتطلـب الأمـر مشاركته.

عن عمرو بن ميمون قال إني لجالس إلى ابن عباس -رضي ا لله عنهما- إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عباس إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء قال فقـال ابـن عباس: «بل أقوم معكم » قال: وهو يومئذ صحيـح قبـل أن يعمـى، قـال: فـابتدءوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجـاء ينفـض ثوبـه ويقـول:« أف وتـف وقعـوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلاً لا يخزيـه ا لله أبـداً يحـب ا لله ورسوله قال فاستشرف لها من استشرف قـال أيـن علـي....قـال وشـرى علـي نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشـركون يرمـون رسـول ا لله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي ا لله قال فقال يا نـبي ا لله قال فقال له علي إن نبي ا لله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قـال فـانطلق أبـو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمـى بالحجـارة كمـا كـان يرمـى نـبي ا لله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا إنك للئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك »[1].

---

(١) رواه أحمد ٣٣١/١ (٣٠٦٢)

الموقف الثالث:

ومع حادث الهجرة نفسه نرى شاباً آخر من شبان الصحابة يدخل في الأمر، ويشارك في دور هام، ألا وهو **عبدا لله بن أبي بكر** -رضي ا لله عنهما-.

ففي حديث عائشة -رضي ا لله عنها- الطويل في سياق قصة الهجرة :«...ثم لحق أبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبدا لله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكادان فيه إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام...» (١).

توليهم المهام:

عن أنس -رضي ا لله عنه- أن نفراً من عكل ثمانية قدموا على رسول ا لله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول ا لله ﷺ فقال:« ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها؟» فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول ا لله ﷺ فبعث في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا ... وفي رواية.... وعنده **شباب من الأنصار** قريب من عشرين، فأرسلهم إليهم، وبعث معهم قائفاً يقتص أثرهم (٢).

وهل تظن أن دلالة هذا الحدث تقف عند مجرد تعويدهم وتربيتهم على المشاركة الفعالة في قضايا مجتمعهم؟ أم أنها تتجاوز ذلك لتدل على الثقة بهم في مثل

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥)

(٢) رواه مسلم (١٦١٧)

هذه المواقف الحاسمة؟.

فما أجدر المربين لجيل الشباب اليوم أن يقفوا طويلاً عند هذه المواقف ليدركوا سراً مهماً من أسرار نجاح ذلك الجيل المبارك.

حرصه ﷺ على دعوتهم:

عن أنس -رضي الله عنه- قال:- كان **غلام يهودي** يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له:«أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له:أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول:«الحمد لله الذي أنقذه من النار»[١].

إن إنقاذ امرئ من النار مهما كان شأنه مطلب ومكسب، ومع أن هذا الشاب في حال الاحتضار ولا يؤمل أن يقدم خدمة للدعوة، أو نصراً للدين، مع ذلك دعاه ﷺ إلى الدخول في الدين، وحمد الله حين تحقق له ذلك.

وحين يجعل المسلم هدفاً له في الحياة أن ينقذ أحداً من النار فإنه يقدم عملاً صالحاً من أفضل الأعمال، ويتأسى بنبيه ﷺ.

(١) رواه البخاري (١٣٥٦)

المبادرة الذاتية

كثيرٌ من الناس يملك الاستعداد للقيام ببعض الأدوار التي تملى عليه وفق خطوات محددة، لكنه يقف عند هذا الحد، ويطرح التساؤل في كل مناسبة وكل حين: ماذا يعمل؟ وما واجبه؟ ويعتذر عن القيام بأي دور بأنه لم يتلق توجيهاً وتكليفاً.

ولكن أتظن أن شباب أصحاب النبي ﷺ كانوا كذلك أم أنهم كانوا أهل مبادرة، وكان دور السؤال والاستشارة هو الانضباط والإتقان للعمل لا أن يكون عائقاً ومثبطاً؟

فمع بعض مواقفهم التي تجيب على هذا التساؤل.

الموقف الأول:

حين قدم أبو ذر -رضي الله عنه- إلى مكة وكان يبحث عن النبي ﷺ وهو يدرك خطورة الأمر أتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه -يعني الليل- فاضطجع فرآه **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه- فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، فظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه علي معه، ثم قال له: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال :إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل، فأخبره، فقال: فإنه حق وهو

رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني...» [١].

إنه موقف يقفه علي -رضي الله عنه- وهو لا يزال شاباً دون العشرين من عمره، وينتج عن هذا الموقف أن يُدلَّ أبو ذر -رضي الله عنه- على مكان النبي ﷺ ويدخل الإسلام.

الموقف الثاني:

حين مات النبي ﷺ ماج الناس واضطربوا وحق لهم ذلك، وفي ذلك الموقف رأى الأنصار أنهم أحق من يتولى الأمر بعد رسول الله ﷺ وقام خطباؤهم في ذلك، فما كان من أحد شبان أصحاب محمد ﷺ إلا أن قام ووقف موقفه الرائع -رضي الله عنه-.

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان: أحدهما منكم والآخر منا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، قال: فقام **زيد بن ثابت** -رضي الله عنه- فقال: «إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنما الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ» فقام أبو بكر فقال: «جزاكم الله خيراً من حي يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، ثم قال: «والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم» [٢].

إن مواطن الفتن واضطراب الأمور تتطلب من يجمع بين الخصلتين معاً: الفقه والعلم، والحزم والمبادرة، فحين يفتقد العلم تسير الأهواء بالناس وتتشعب بهم،

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦١) مسلم (٢٤٧٤)

(٢) رواه أحمد ٥/٢٢١ (٢١٦٧٢)

وحين تفقد المبادرة فقد تفوت الفرصة؛ إذ يبادر أهل الأهواء والأغراض.

فهاهو أحد الشباب النجباء من أصحاب النبي ﷺ يجمع بينهما، ويبادر الناس في هذا الموطن، ولا غرو فقد كان أمين النبي ﷺ على الوحي.

الموقف الثالث:

عن علي -رضي الله عنه- قال: تقدم يعني عتبة بن ربيعة، وتبعه ابنه وأخوه فنادى :من يبارز؟، فانتدب له **شباب من الأنصار**، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ :«قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة [1].

إنها مبادرة لا للقيام بخدمةٍ أو أداء عمل، بل للقتال والمبارزة والموت، إنه صراع مع أشاوس وطغاة قريش يتصدى له شباب الأنصار، وحين رفض رجال قريش مبارزتهم، انتدب لهم فيمن انتدب أحد الشباب من المهاجرين وهو **علي** -رضي الله عنه- فجرَّع قرينه كأس الموت، ولا غرو وهو القائل -رضي الله عنه:-

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

(١) رواه أبوداود (٢٦٦٥)

الإنفاق في سبيل الله

أول ما نزل النبي ﷺ المدينة بركت ناقته في مربد لغلامين من أصحاب النبي ﷺ وصار هذا موضع المسجد، فاختارا -رضي الله عنهما- أن يهباه للنبي ﷺ .

ففي حديث الهجرة الطويل "...ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر **لسهيل وسهل**، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته:«هذا إن شاء الله المنزل» ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما..." (١).

وهاهو أحدهم حين ورث من أمه مالاً تطيب نفسه به يسأل النبي ﷺ عن الصدقة به، فعن عقبة بن عامر أن **غلاماً** أتى النبي ﷺ - وفي رواية - سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت وتركت حلياً أفأتصدق به عنها؟ قال:«أمك أمرتك بذلك؟» قال: لا، قال:«فأمسك عليك حلي أمك» (٢) .

وعبيدالله بن عباس -رضي الله عنهما- يُشهد له بالسخاء والجود، قال ابن سعد: «وكان سخياً جواداً، فقال بعض أهل العلم: كان عبدالله وعبيدالله ابنا عباس إذا قدما مكة، أوسعهم عبدالله علماً، وأوسعهم عبيدالله طعاماً، وكان عبيدالله رجلاً تاجراً» (٣).

وفي غزوة الخندق حين اشتدت الكربة بالمسلمين تألم **جابر** -رضي الله عنه-

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦)
(٢) رواه أحمد (١٥٧/٤)
(٣) طبقات ابن سعد (الطبقة الخامسة. ت.محمد السلمي [٢١٤/١])

لما أصاب النبي ﷺ فصارت له قصة لها شأن يحدثنا عنها فيقول:-

إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال:«أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال:«كم هو؟» فذكرت له قال:«كثير طيب»، قال:«قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي»، فقال: قوموا فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم فقال:«ادخلوا ولا تضاغطوا» فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال:«كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»[(١)].

إن بعض القراء من أعزائنا الشباب ربما لا يدركون قيمة المال عند أهله؛ إذ هم يعيشون في كنف أهليهم ويُنْفَق عليهم، أما أولئك فقد كانوا -رضوان الله عليهم- يجودون بالمال وهم لا يجدون إلا القليل، بل ربما بات أحدهم طاوياً وأنفق قوته وقوت عياله في سبيل الله.

فما أجمل أن يربي الشاب نفسه على الجود والإنفاق، والعبرة ليست بمقدار ما

---

(١) رواه البخاري (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩)

ينفق المرء بل بتلك النية الصادقة التي يجود صاحبها بالقليل الذي يتيسر له وهو كثير عند الله الذي لا يضيع أجر المحسنين.

ويعلّم ﷺ أصحابَه هذا السلوك إذ يقول لهم :«ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»(١).

وفي رواية: ذكر النبي ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، قال شعبة أما مرتين فلا أشك ثم قال:«اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٩ ومسلم (١٠١٦)

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٣) ومسلم (١٠١٦)

الجهاد والبطولة

وحيث كانت حياة الرعيل الأول حياة جهاد وبذل في سبيل الله، وكانت هذه القضية هي الشغل الشاغل للمجتمع المسلم؛ إذ كان إقرار هذا الدين في ذاك المجتمع الغارق في الشرك والضلال يتطلب رصيداً من الجهاد والبذل والدماء، فقد أخذ شباب أصحاب النبي ﷺ من ذلك بنصيب وافر، وأبوا أن يستأثر غيرهم بفضيلة الجهاد.

وهانحن نرى أنه في كل غزوة يستعرض ﷺ الجيش فيرد الصغار، لذا فأنت تقرأ كثيراً في السيرة :«استصغر فلان في غزوة كذا وكذا».

فحفظت لنا كتب السير أنه في غزوة بدر استُصْغِر **البراء بن عازب، ورافع بن خديج** -رضي الله عنهما- .

وفي غزوة أحد استصغر **أبو سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت** - وقيل في بدر- **وعرابة بن أوس، وأسيد بن ظهير بن رافع، وسعد بن بجير** -رضي الله عنهم- .

فهؤلاء الذين حُفِظَت أحوالهم في تلك الغزوات، فهناك بلا شك من لم يرد ذكره، وهناك طائفة كبيرة ممن أجيزوا وحضروا تلك المواقع.

ومن هؤلاء **رافع بن خديج** فقد استصغر في بدر وأجيز في أحد، **وابن عمر** فقد استصغر في أحد وأجيز في الخندق -رضي الله عنهما- .

وكان **عمير بن أبي وقاص** -رضي الله عنه- في بدر يتوارى لئلا يراه النبي ﷺ فلما رآه رده فبكى وأجازه[1].

---

(١) سيأتي تفصيل القصة في الشهادة.

وهناك من كان يرغب في المشاركة لكن يعوقه عن ذلك علمه بأنه لن يجاز.

ولا تقف البراهين على جهاد هؤلاء وبذلهم عند حدود ما يرويه أهل الأخبـار، بل يبقى في أجسادهم أثر ذلك ليصبح شامة يعتز بها وأنعم بذلك.

فيحكي عروة عن **الزبير** -رضي ا الله عنه- :«كـان في الزبـير ثـلاث ضربـات بالسيف، إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب ثنتـين يـوم بـدر، وواحدة يوم اليرموك» [(١)].

وحين رأى إسماعيل في يد **عبدا لله بن أبي أوفى** -رضي ا الله عنه- ضربة علـى ساعدة سأله: ماهذه؟ قال: ضربتها يوم حنين، قال له: أشهدت معه حنيناً، قال: نعم وقبل ذلك. [(٢)].

وفي أول موقف يحضره **رافع بن خديج**، في أحد حيث استصغر في بدر أصابـه سهم فانتزعه، فبقي النصل في لحمه إلى أن مات [(٣)].

وتتجاوز الآثار ذلك لتبقى على أسيافهم وسلاحهم، فعن عروة بن الزبـير قـال قال لي عبدالملك بن مروان حين قتل عبدا لله بن الزبير: يـاعروة، هـل تعـرف سيف الزبير؟ قلت: نعم، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فلة فلها يوم بدر، قـال: صدقـت، (بهـن فلول من قراع الكتائب) ثم رده على عررة [(٤)].

والاستطراد وتتبع كتب السير في حصر مـن شـارك مـن الشباب في الغزوات يطول أمره، لكن الأمر لا يقف عند حد مجرد المشاركة -وإن كان بحد ذاته أمراً لـه دلالته التي لا ينبغي أن تغيب عن شباب أمتنا ومـن يقـوم علـى تربيتهـم ورعـايتهم-

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٣)

(٢) رواه أحمد ٤/٣٥٥ (١٩١٥٥)

(٣)سير أعلام النبلاء (١٨٠/١)

(٤) رواه البخاري (٣٩٧٣)

فيتجاوز ذلك إلى مواقف بطولية رائعة حفظها لنا التاريخ.

ومن ذلك موقف **لسلمة بن الأكوع** -رضي الله عنه- يحدثنا هو فيه عن نفسه إذ يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ هوازن قال :فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً من حقبه فقيد به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد فأتى جمله فأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأثاره فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء، قال سلمة: وخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل فأنخته، فلما وضع ركبته إلى الأرض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه، فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه فقال: «من قتل الرجل؟». قالوا: ابن الأكوع، قال: «له سلبه أجمع» [(١)].

سلمة وموقف آخر:

وهي ليست حادثة يتيمة، أو حماسة طارئة أنتجت هذا الموقف بل هانحن نراه -رضي الله عنه- يسجل موقفاً آخر يحدثنا أيضاً فيه هو عن نفسه فيقول:-

خرجنا مع أبي بكر بن قحافة -رضي الله عنه- أمَّره رسول الله ﷺ علينا قال: غزونا فزارة فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر، فعرسنا قال: فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر، فشننا الغارة فقتلنا على الماء من قتلنا، قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال فجئت بهم أسوقهم إلى أبي

---

(١) رواه مسلم (١٧٥٤) ورواه البخاري (٣٠٥١) مختصراً

بكر -رضي الله عنه- حتى أتيته على الماء، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم، معها ابنة لها من أحسن العرب، قال: فنفلني أبو بكر ابنتها، فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم بت فلم أكشف لها ثوباً قال: فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي:«يا سلمة هب لي المرأة» قال: فقلت: يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، قال: سكت رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال :«يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك» قال: قلت: يا رسول الله، والله أعجبتني ما كشفت لها ثوباً، وهي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، وفي أيديهم أسارى من المسلمين، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة [١].

ومرة أخرى مع **سلمة** -رضي الله عنه- في غزوة الحديبية حيث يروي لنا الموقف بنفسه فيقول«قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية.... ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا إلى بعض، قال: وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيدا لله أحس فرسه، وأسقيه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحت شوكها واضطجعت في ظلها فأتاني أربعة من أهل مكة، فجعلوا وهم مشركون يقعون في رسول الله ﷺ، فتحولت عنهم إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا آل المهاجرين قتل ابن زُنَيم، فاخترطت سيفي فشددت على الأربعة فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً، ثم قلت: والذي أكرم محمداً لا يرفع رجل منكم رأسه إلا ضربت عنقه الذي -يعني فيه عيناه- فجئت أسوقهم إلى رسول الله ﷺ ، وجاء عمي بابن مكرز يقود ه فرسه،

---

(١) رواه أحمد ٤/٤٦ (١٦٥٠٨)

يقود سبعين حتى وقفناهم فنظر إليهم فقال: «دعوهم يكون لهم بدو الجور» وعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزلت ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم**﴾ (الفتح:٢٤) ثم رجعنا إلى المدينة ...»[(١)].

شاب يقود موقعة وحده:

ولا يقف الأمر عند **سلمة** -رضي الله عنه- عند هذا الحد فقبل هذه الغزوة -هوازن- كان له موقف رائع، وكان بطل قصة ممتعة من حوادث السيرة ألا وهي غزوة ذي قرد ومع بقية الحديث السابق الذي يرويه هو بنفسه -رضي الله عنه- إذ يقول فيه: « ... ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر النبي ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيدالله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثاً: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:-

أنا ابن الأكوع　　　　　　واليوم يوم الرضَّع

فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً في رحله حتى خلص السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته، فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٧) وأحمد ٤٩/٤ (١٦٥٢٤)

خلفته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحاً يستخفون، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقاً من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغدون) وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس، يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلي منهم أربعة إلى الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر عبدالرحمن فرسه وطعنه عبدالرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبدالرحمن فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم فحليتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغض

كتفه، قال: قلت:

وأنا ابن الأكــوع   واليوم يوم الرضَّع

قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة، قال: قلت: نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، قال: ولحقني عامر بسطيحة[(١)] فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حليتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة، وإذا بلال يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، قال: فقلت: يا رسول الله خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: «يا سلمة، أتراك كنت فاعلاً؟» قلت: نعم والذي أكرمك، فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً، فلما كشفوا جلدها، رأوا غباراً فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين...» .

لقد كان هذا الموقف العظيم من سلمة -رضي الله عنه- موقفاً يستحق الإشادة والاهتمام، لذا فقد كافأه ﷺ مكافأة لها قيمتها قال: فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ :«كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة» ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة.. [(٢)].

فقد جمع له ﷺ بين أنواع من التكريم: ثناؤه عليه، وإعطاؤه سهمين من

---

(١) إناء من جلد (انظر شرح النووي لمسلم ١٢/٤٢٣)

(٢) رواه مسلم (١٨٠٧) وراه البخاري مختصراً (٣٠٤١)

الغنيمة، وإردافه إياه.

خير الفرسان وخير الرجال شابان:

لقد قال ﷺ بعد هـذه الغـزوة خـير رجالتنـا **سـلمة**، وخـير فرسـاننا **أبوقتـادة**، وكلاهما من شباب أصحاب النبي ﷺ فهنيئاً لهما هـذه الخيريـة وهـذه الشـهادة مـن النبي ﷺ .

سبعة أبيات ضحية جهاد سلمة:

في إحدى السرايا التي شارك فيها **سلمة** -رضـي ا لله عنـه- يـروي عـن نفسـه «أمر رسول ا لله ﷺ علينا أبا بكر رضي ا لله عنه فغزونا ناسا من المشركين فبيتنـاهم نقتلهم، وكان شعارنا تلك الليلة أمت أمت، قـال سـلمة فقتلـت بيـدي تلـك الليلـة سبعة أهل أبيات من المشركين» [1].

لم تعد البطولة حكراً على سلمة:

ومع تلك البطولات التي سطرها سلمة -رضي ا لله عنه- فهل تظن أن التـاريخ سيعجز عن صفحات شاغرة ليسجل فيها مآثر بطوليـة لغـيره مـن شـباب أصحـاب محمد ﷺ؟.

فهاهما شـابان حديثـة أسـنانهما يسـجلان هـذا الموقـف الفـذ وفي أول غـزوة ومواجهة حاسمة مع المشركين فعن عبدالرحمن بـن عـوف -رضـي ا لله عنهمـا- أنـه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فـإذا أنـا بـين غلامـين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنـت بـين أضلـع منهمـا، فغمزنـي أحدهمـا

(١) رواه أحمد ٤/٤٦ (١٦٥٠٤) وأبو داود (٢٦٣٨) وابن ماجه (٢٨٤٠)

فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي ، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسه بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلما قال، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟»، قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله» وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان: **معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء** [1] .

وتعجب وأنت تقرأ هذا النموذج الفذ للهمة العالية لهذين الغلامين التي لم تقف عند حد المشاركة في الغزوة، بل طمحت نفوسهما إلى الإطاحة برأس الكفر والضلال، وهذا أمر لم يقتصر على الشعور والحماس، بل بدا مصداق ذلك في تمريغ الضال وتجريعه كأس الموت.

القراء وبئر معونة:

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:« كان **شباب من الأنصار** سبعين رجلاً يقال لهم القراء، قال: كانوا يكونون في المسجد، فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون، يحسب أهلوهم أنهم في المسجد، ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم حتى إذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاءوا به فأسندوه إلى حجرة رسول الله ﷺ ، فبعثهم النبي ﷺ جميعاً،

---

(١) رواه البخاري (٣١٤١) مسلم (١٧٥٢) واللفظ له، وقد اختلف في تسمية الغلامين والنتيجة والمؤدى واحد.

فأصيبوا يوم بئر معونة، فدعا النبي ﷺ على قتلتهم خمسة عشر يوماً في صلاة الغداة»[١].

ولهذا وجد عليهم ﷺ وحق له، ففي رواية «ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة »[٢].

رصيد من المشاركة في الجهاد:

ويحدثنا أحد أولئك الذين استصغروا في بعض الغزوات وهو **البراء بن عازب** -رضي الله عنه- عن جهاده ومشاركته مع النبي ﷺ فيقول :«غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة»[٣].

ومثله شاب آخر هو **عبدالله بن أبي أوفى** -رضي الله عنه- فيقول :«غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»[٤].

وآخر ممن استصغر يحدث عنه أحد تلامذته فيقول: سمعت **أبا سعيد** -رضي الله عنه- أربعاً، قال:«سمعت من النبي ﷺ ، وكان غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة»[٥].

أما **سلمة** -رضي الله عنه- فحدث عن مشاركته قائلاً:«غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات، مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة»[٦].

---

(١) رواه أحمد ٢٣٥/٣(١٣٤٦٨) وهو في الصحيحين دون موضع الشاهد
(٢) رواه مسلم (٦٧٧) وهي في البخاري (٣١٧٠) بمعناه
(٣) الطبقات (٢٧٢/٤) الطيالسي (١٤١/٢) وانظر سير أعلام النبلاء (١٩٥/٣)
(٤) رواه البخاري (٥٤٩٥) ومسلم (١٩٥٢)
(٥) رواه البخاري (١١٨٩)
(٦) رواه البخاري (٤٢٧١) ومسلم (١٨١٥)

وزيد بن أرقم -رضي الله عنه- يحدث عنه عبد الله بن يزيد فيقول: خرج يستسقي بالناس فصلى ركعتين ثم استسقى قال فلقيت يومئذ زيد بن أرقم وقال: ليس بيني وبينه غير رجل أو بيني وبينه رجل، قال: فقلت له: كم غزا رسول الله ﷺ؟ قال: تسع عشرة، فقلت: كم غزوت أنت معه؟ قال سبع عشرة غزوة، قال: فقلت: فما أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العسير أو العشير[١].

إن هذه غيض من فيض، ونماذج من بعض ما وقفنا عليه مما حفظته لنا كتب السيرة، وما لم نقف عليه، أو يحفظ لنا فهو كثير.

إن ذلك كله ليدل على أن مشاركة هؤلاء -رضوان الله عليهم- في الجهاد لم تكن مواقف فردية، أو نتاج حماسة واندفاع مرة أو مرتين، بل هو دأب لهم وشأن فهل من مشمر ومقتد بهم؟

شاب ينتزع راية المشركين:

وفي غزوة بدر التي شارك فيها خيار الأمة، وصار من مناقب أي صاحب للرسول ﷺ شهوده بدراً، في تلك الغزوة قام أحد الشباب وهو **أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري** بانتزاع راية المشركين، وأسر العباس بن عبدا لمطلب -رضي الله عنه- [٢].

أحد الشباب من أسد الله ورسوله:

هذه شهادة من أبي بكر -رضي الله عنه- لأحد شباب أصحاب النبي ﷺ بمحضره، ويقره عليها ﷺ فنترك صاحب الشأن يحدثنا عن موقفه:-

(١) رواه البخاري (٣٩٤٩) ومسلم (١٢٥٤)
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٥٣٧)

عن **أبي قتادة** -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلا من المشركين علا رجلا من المسلمين، فاستدرت حتى أتيته من ورائه، حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب، فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» فقمت فقلت: من يشهد لي؟، ثم جلست، ثم قال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه»، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله، فقمت فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا قتادة؟» فاقتصصت عليه القصة، فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبه عندي فأرضه عني، فقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: لاهاً الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ يعطيك سلبه، فقال النبي ﷺ: «صدق»، فأعطاه فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام[1].

---

(١) رواه البخاري(٣١٤٢) ومسلم (١٧٥١)

الشهادة في سبيل الله

لقد كانت مشاركة الشباب الفاعلة في صفوف الجهاد سبباً لأن يختار ا لله من بينهم شهداء في سبيله، وهو اصطفاء واختيار منه تبارك وتعالى كما قال في كتابه ﴿**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم ا لله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء**﴾ (آل عمران: ١٤٠) فهي نعمة واصطفاء منه سبحانه وتعالى، وا لله تبارك وتعالى لا يمنح هذا الفضل إلا من يستحقه.

وللشهداء عند ا لله منزلة عظيمة، فهم أحياء والناس يحسبونهم أمواتاً ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا لله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم ا لله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون. يستبشرون بنعمة من ا لله وفضل وأن ا لله لا يضيع أجر المؤمنين**﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧١)، إنهم يتساءلون عمن وراءهم من إخوانهم، بل إنهم يسألون ا لله الرجعة إلى دار الدنيا، لاشوقاً إلى حطامها ومتاعها الفاني، بل ليقتلوا في سبيل ا لله مرة أخرى.

ولذا يروي لنا أحد الشباب من أصحاب النبي ﷺ حديثاً عظيماً في فضل الشهادة في سبيل ا لله فعن المقدام بن معد يكرب -رضي ا لله عنه- أن النبي ﷺ قال: «للشهيد عند ا لله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» [١].

---

(١) رواه الترمذي(١٦٦٣) وأحمد ١٣١/٤(١٧١٨٧) وابن ماجه (٢٧٩٩)

ويبشر ﷺ أحدهم بالشهادة ألا وهو **طلحة بن عبيدا لله** فعن جابر بن عبدا لله -رضي ا لله عنهما- قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول:«من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدا لله»(١).

عن أنس -رضي ا لله عنه- قال أصيب **حارثة** يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول ا لله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال:«ويحك أوهبلت؟ أوجنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»(٢).

وكأن **عمير بن أبي وقاص** -رضي ا لله عنه- كان يعلم يوم بدر أنه على موعد مع الشهادة في سبيل ا لله فيصر على المشاركة، ولنستمع لقصته كما يحكيها أخوه سعد -رضي ا لله عنه- فيقول:«رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول ا لله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: مالك ياأخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول ا لله ﷺ فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل ا لله أن يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول ا لله ﷺ فاستصغره فرده، فبكى فأجازه، فكان سعد يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشرة سنة»(٣).

وممن استشهد في بدر **معوذ بن الحارث** -رضي ا لله عنه-.

فهل حدثت نفسك أخي الكريم أن ترحل مع هؤلاء كما رحلوا، وأن تفوز بالشهادة في سبيل ا لله عز وجل؟

إن هناك الكثير ممن يطير به الشوق نحو إدراك فضل الشهادة ومراتب الشهداء،

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٣٩) وابن ماجه (١٢٥)

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٢)

(٣) أخرجه ابن سعد (١/١١٠-١١١)

لكن الفرص قد لاتتهيأ له، لذا فقد قال ﷺ:«من سأل ا لله الشهادة بصدق، بلّغه ا لله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» [١].

هذا الحديث رواه سهل بن حنيف -رضي ا لله عنه-، ويروي هذا المعنى عن النبي ﷺ أحد الشباب ألا وهو **معاذ بن جبل** إذ يروي عنه ﷺ :«من سأل ا لله القتل في سبيل ا لله صادقاً من قلبه، أعطاه ا لله أجر شهيد، وإن مات على فراشه» [٢].

إن مجرد الأمنية أمر سهل، لكن الأمنية الصادقة التي يعلم تبارك وتعالى نية صاحبها هي التي توصل لهذه المنزلة، وهي تفرض على صاحبها أن يعد نفسه ويهيئها، فهذه المنازل لا مكان فيها للجبناء الضعفاء.

---

(١) رواه مسلم(١٩٠٩)

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٤)

المواقف المشهودة

حفلت السيرة النبوية بمواقف مشهودة عظيمة، ومواطن بذل فاضلة، لذا كان علماء السير حين يترجمون لأحد أصحاب النبي ﷺ يذكرون هذه المشاهد التي شهدها -رضي الله عنه-.

وما كان لشباب أصحاب النبي ﷺ وهم السباقون إلى الخير أن يدعو هذه الصفحات الناصعة خالية من منجزاتهم ومشاركاتهم، ومن هنا فإنك حين تضع أمامك قائمة بهذه المواقف فلن تعدم أن تجد أسماء هؤلاء في كل موطن وموقف، ومن هذه المواطن:-

١- **بيعة العقبة الثانية** التي قال عنها كعب بن مالك -رضي الله عنه-: «ولقد شهدت مع النبي ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها»[1].

فممن شهد العقبة من شباب أصحاب النبي ﷺ **معاذ بن جبل** -رضي الله عنه- وكان عمره حينها دون العشرين، **وأبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري** وعمره عشرون عاماً، **وسلمة بن سلامة بن وقش**، و **معاذ ابن عفراء** كلاهما شهدا العقبتين، **وجابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، وأبو مسعود البدري**.

٢ - وفي **غزوة بدر** أول مواجهة بين النبي ﷺ وقريش، وسماها تبارك وتعالى ﴿**يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**﴾ وسارت بفضائلها الركبان وقال ﷺ عمن شهدها: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٩) ومسلم (٢٧٦٩)

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤)

وكان ممن شهد بدراً من شباب أصحاب النبي ﷺ **أبو اليسر**، **ومعاذ بن جبل**، **ومعاذ ومعوذ**، **وعمير بن أبي وقاص** واستشهد فيها، **وعلي بن أبي طالب**، **وسعد بن خولة**، **ومعتب بن عوف**، و **معمر بن حبيب**، **وطليب بن عمير بن وهب**، **ومسطح بن أثاثة**، **وسنان بن أبي سنان**، **وكعب بن عمرو الأنصاري**.

٣ - ومنها **بيعة الرضوان** التي قال تبارك وتعالى عن أصحابها ﴿**لقد رضي ا لله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً**﴾ (الفتح: ١٨) ، وقال فيها ﷺ لهم :«أنتم خير أهل الأرض» قال جابر: وكنا ألفا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة [١].

وعن جابر بن عبد ا لله -رضي ا لله عنهما- يقول أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة:«لا يدخل النار إن شاء ا لله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول ا لله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ فقال النبي ﷺ:«قد قال ا لله عز وجل ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**﴾» [٢].

وكان ممن شهد هذه البيعة من الشباب **عبدا لله بن عمر**، **وسلمة بن الأكوع**، **وابن أبي حدرد**، **والبراء بن عازب**، **وعبدا لله بن أبي أوفى**، **وعبدا لله بن يزيد الأنصاري**، **وأبو سعيد الخدري**، **ورافع بن خديج**، **وزيد بن خالد الجهني**.

بل كان أول من بايع في هذه البيعة **سنان بن أبي سنان** -رضي ا لله عنه- وعمره إحدى وعشرون سنة.

وهاهو **سلمة** -رضي ا لله عنه- يبايع النبي ﷺ -إذ طلب منه ذلك- ثلاث

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٥) ومسلم (١٨٥٦)

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦)

مرات فيحدث عن نفسه : ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال:«بايع يا سلمة» قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال:«وأيضاً» قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلاً يعني ليس معه سلاح، قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أو درقة، ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال:«ألا تبايعني يا سلمة؟» قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس، قال:«وأيضاً»، قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي:«يا سلمة، أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟» قال قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلاً فأعطيته إياها، قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال:«إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٧) ورواه البخاري مختصراً (٢٩٦٠)

الرياضة لدى شباب الصحابة

تتطلع النفوس دوماً للهو والترفيه، وتشكل تبعات الحياة ومشاغلها عاملاً يدفع النفس للبحث عن متنفس، لذا فإن الباحث في تاريخ مجتمع من المجتمعات في أي عصر لابد أن يقف على مجالات للترفيه والرياضة.

ويبدو أن هناك تناسباً عكسياً بين عمر الشخص وميله للرياضة والترفيه؛ لذا فالرياضة لدى الشباب لها مذاق وإقبال غير ما لدى الشيوخ.

فكيف كانت رياضة شباب الصحابة -رضوان الله عليهم-؟

لنستمع لذلك من أحدهم:-

عن **عبدالله بن عمر** رضي عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي لم تضمر وكان أمدها من الثنية إلى مسجد بني زريق وأن عبدالله بن عمر كان سابق بها [1].

لقد أدرك شبان أصحاب رسول الله ﷺ وهم يعشقون الجهاد ويشاركون فيه أنه لابد من الإعداد والتدريب، فأخذوا بوصية النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[2] .

ومن ذلك قصة سلمة -رضي الله عنه- في أثناء روايته لغزوة بني قرد «... قال فبينما نحن نسير قال وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت:أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل، قال: إن شئت قال: قلت:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٩) ومسلم (١٨٧٠)

(٢) رواه مسلم (١٩١٧)

اذهب إليك، وثنيت رجلي فطفرت فعدوت قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي ثم عدوت في إثره فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه قال فأصكه بين كتفيه قال قلت قد سبقت وا لله قال أنا أظن قال فسبقته إلى المدينة ...»[١] .

وهكذا تتعانق الرياضة وبرامج الترفيه لدى هؤلاء مع الأهداف السامية الطموحة العالية وتمثل رصيداً وزاداً يدفع لمزيد من الجدية والنشاط، فالترفيه عند هؤلاء ما أوصل إلى أهداف ونتائج سامية.

وقد أخذوا هذا المبدأ من قوله ﷺ:«لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر»[٢].

وحيث كانت الرياضة لدى هؤلاء وسيلة لغاية عظمى فهل يمكن أن تشغلهم عن فريضة من الفرائض أو طاعة من الطاعات؟

وحين نعود لعصرنا ونفتح صفحة من حياة بعض شباب الأمة ندرك البون الشاسع بين رياضة هؤلاء وأولئك، فكم يفعل التعلق بالكرة في نفوس أصحابه، إنه يأخذ نفيس أوقاتهم متابعة ومشاهدة، وقراءة للصحف قبل المسابقات وبعدها، وتنازع ونقاش وإحن، وتبدل للعواطف بين رضا وسخط، وتفريغ للحماس فيما لا فائدة منه، ناهيك عن إضاعة الصلوات والتنازع والتشاجر.

وندرك أيضاً حينها سر عناية الأعداء بالترويج لهذه المشاغل لدى الشباب لصرفهم عن القضايا الكبار العظام فما أجدر شباب الأمة أن يعودوا لدراسة سير سلفهم الصالح، وفرطهم المبارك.

---

(١)رواه مسلم (١٨٠٧) وراه البخاري مختصراً (٣٠٤١)

(٢) رواه أحمد ٢/٤٧٤ (١٠١٥٠) والترمذي(١٧٠٠) وأبو داود (٢٥٧٤) وابن ماجه (٢٨٧٨)

احتمال الشدائد في سبيل الله

الابتلاء في الدين:

لقد كان لشباب أصحاب النبي ﷺ نصيب وافر من الشدائد والمحن التي أصابت المسلمين في ذاك الوقت، وهي سنة الله سبحانه وتعالى في المؤمنين ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهو لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ (العنكبوت: ٢-٣) ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾ (البقرة: ٢١٤) .

وقد أصاب المسلمين في مكة من الشدائد والأهوال ما أصابهم مما عبر عنه عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- إذ يقول: «قد فعلنا -القتال- على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة» [1] .

وسأل سعيد بن جبير ابن عباس -رضي الله عنهما-: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال:«نعم، والله إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا: اللات والعزى إلهان من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم»[2] .

---

(١) رواه البخاري (٤٦٥٠)

(٢) رواه ابن اسحاق، وصححه الحافظ في الإصابة والذهبي في السير

ولقد ضرب شبان الصحابة -رضوان الله عليهم- أروع الأمثلة في الثبات على البلاء وتحمل الشدائد في سبيل الله فهاهو **سعيد بن زيد** -رضي الله عنه- يقول:«والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر، ولو أن أحدا ارفض للذي صنعتم بعثمان لكان» [١].

وهاهو شاب آخر من أصحاب النبي ﷺ وهو **خباب بن الأرت** -رضي الله عنه- يبلغ به الأذى والشدة كل مبلغ فيأتي للنبي ﷺ شاكياً له ما أصابه فيقول - رضي الله عنه- :أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت :ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال:«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أوعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله» [٢].

وتبقى آثار البلاء على جسده -رضي الله عنه- إلى حين، إذ يقدم على عمر _رضي الله عنه_ فيقول له:«ادن فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار»، فجعل خباب يريه آثاراً بظهره مما عذبه المشركون [٣] .

ولهذا حين رجع علي -رضي الله عنه- من صفين ومر بقبره لم يسعه إلا يقول:«رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجره»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦٢)

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٢)

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٣) وانظر صحيح ابن ماجه (١٢٤)

(٤) رواه الطبراني كما في الإصابة (٢/٢٢١)

الغربة في سبيل الله :

وهاهم طائفة من شباب أصحاب النبي ﷺ يدعوهم حبهم لدين الله إلى أن يختاروا الغربة عن بلادهم وأوطانهم على الفتنة، فيرحل طائفة منهم ويهاجرون إلى الحبشة، إلى بلاد لا يعرفون لسان أهلها، وليس لهم فيها أنيس أو جليس.

إن من تبلغ قيمة الدين لديه هذا القدر، ومن يضحي فيه هذه التضحية لرجل بلغ الغاية في الصدق والإيمان.

لذا كان ممن هاجر إلى الحبشة من شبان أصحاب محمد ﷺ **الزبير بن العوام**، **وعثمان بن مظعون**، وأخوه **قدامة**، وأخوه **عبدا لله**، **وطليب بن عمير بن وهب**، **وشماس بن عثمان**، **والسائب بن عثمان**، **ومحمد بن حاطب**، **وعبدا لله بن سهيل بن عمرو**، **وعبدا لله بن مخرمة**، **ومعتب بن عوف**، **وسعد بن خولة**، **وعبدا لله بن مسعود** - رضي الله عنهم جميعاً- [١].

وقد كان عثمان بن مظعون -رضي الله عنه- يؤذيه في إسلامه ابنُ عمه أمية بن خلف، فقال في ذلك:-

أتيم بني عمرو للذي جاء بغضه ... ومن دونه الشرمان والبرك أكتع

أأخرجتني من بطن مكة آمناً ... وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع

تريش نبالاً لا يواتيك ريشها ... وتبري نبالاً ريشها لك أجمع

وحاربت أقواماً كراماً أعزة ... وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع

ستعلم إن نابتك يوماً ملمة ... وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع [٢]

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٣٤٩-٣٥٧

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥٩

الجوع والفقر:

لقد كان طائفة من أصحاب النبي ﷺ يعيشون في الصفة ويعانون فيها ما يعانون من الفقر والجوع.

والصفة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:«الصفة كانت في مؤخرة مسجد النبي ﷺ في شمالي المسجد بالمدينة النبوية» (١) والسبب في ذلك هو تحويل القبلة كما قال الذهبي -رحمه الله-:«إن القبلة قبل أن تتحول كانت في شمال المسجد، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكاناً لأهل الصفة» (٢).

وقد كان بين أصحاب الصفة بعض الشباب منهم **أسماء بن حارثة** -رضي الله عنه-.

وتصور لنا مرويات السيرة تلك المعاناة التي كان يعانيها أصحاب الصفة -رضوان الله عليهم-، فهاهو عريف أهل الصفة يصور لنا في هذه الرواية المعاناة التي كانوا يلاقونها فيقول: أالله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر و لم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال:«يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال:«الحق» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبناً في قدح، فقال:«من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال:« أبا هر» قلت:

---

(١) الفتاوى (٣٨/١١)

(٢) انظر في الحديث عن الصفة كتاب (أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال) لصالح بن أحمد الشامي

لبيك يا رسول الله، قال:«الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم.... الحديث [١].

ومن ذلك ما رواه مسلم عن خالد بن عمير العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:«أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً، لا يدرك لها قعراً، والله لتملأن أفعجبتم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين **سعد بن مالك** -هو سعد بن أبي وقاص- فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا» [٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢)

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٧)

ولم يكن الجوع وحده هو الشدة التي يعاني منها أصحاب الصفة -رضوان الله عليهم-، فقد كانت مسقفة بجريد النخل فكيف تكون حالها عند الأمطار؟

لنستمع لذلك في هذه الرواية عن أبي سلمة قال: سألت **أبا سعيد** -وكان لي صديقاً- فقال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال: «إني أريت ليلة القدر ثم أنسيتها - أو نسيتها - فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر، وإني رأيت أني أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع» فرجعنا وما نرى في السماء قزعة، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد - وكان من جريد النخل - وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين حتى رأيت أثر الطين في جبهته [(١)].

وفي الشتاء القارس كيف يبيت هؤلاء؟ ولك أن تتصور الفرش الوثيرة التي يملكونها -رضوان الله عليهم-.

وحين يشتد الحر فما الذي يقيهم من لهب الظهيرة وسمومها؟ لعلك أن تستغني عن أجهزة التكييف يوماً واحداً لتعرف الإجابة.

لقد كان بإمكان الكثير من أولئك أن يبقوا في أهلهم وأموالهم، وينعموا بالراحة والرفاهة، لكنهم اختاروا ذلك حباً لله ورسوله ﷺ.

من شدائد الجهاد :

إن الجهاد بحد ذاته مشقة وكلفة، أما جهاد أصحاب النبي ﷺ فكان يجمع مع ذلك قلة ذات اليد فهاهي إحدى صور جهاد أحد شباب النبي ﷺ وهو **جابر بن عبدالله** -رضي الله عنهما- يقول فيها:-

---

(١) رواه البخاري(٢٠١٦) ومسلم (١١٦٧)

سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة.. [١].

ويحكي لنا جابر -رضي الله عنه- معاناة أخرى فعنه -رضي الله عنه- أنه قال:«بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مائة وأنا فيهم، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، فقلت: وما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت، قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت تحتهما فلم تصبهما»[٢].

وفي غزوة الخندق حين اجتمعت طوائف الأحزاب على المدينة وقرر النبي ﷺ حفر الخندق حول المدينة هب أصحابه -رضوان الله عليهم- للعمل دون كلال ولا ملال، ولاشك أن من هؤلاء الشباب -رضوان الله عليهم-، ومن بينهم **سهل بن سعد** -رضي الله عنه- فقد قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا[٣] ، فقال رسول الله ﷺ:« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار» [٤].

ومنهم **جابر** -رضي الله عنه- فقد قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال:«أنا نازل»، ثم

---

(١) رواه مسلم (٣٠١٤)
(٢) رواه البخاري (٢٤٨٣) ومسلم (١٩٣٥)
(٣) الكتد: مجمع الكتفين، وهو الكاهل [النهاية (١٤٩/٣)]
(٤) رواه البخاري (٤٠٩٨) ومسلم (١٨٠٤)

قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم. [١].

ومنهم **البراء بن عازب** -رضي الله عنه- فيقول:«لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه» [٢].

ويتساءل الشاب اليوم وهو يقرأ سير هؤلاء الأفذاذ وما واجهوه من شدائد: إنها مواقف رائعة وعظيمة، لكنها ربما لا يستفيد منها إلا من واجه الشدائد فيقتبس منها زاداً يعينه على الصبر والتحمل، فما بال من لم تصبه الشدائد؟

نعم إن في هذه المواقف عبرةً ودافعاً لمواجهة الصعاب والشدائد، لكن أولئك الذين لم يواجهوا شيئاً منها لن يعدموا دروساً مهمة في حياتهم.

إن هذا الصبر والتحمل من هؤلاء لشدائد الجوع والفقر، والخوف، والحر والبرد....، إنه ليعكس قيمة الدين العظيمة لدى هؤلاء وعظم مكانته في نفوسهم، حتى ضحوا من أجله بالراحة، والمال والولد وتحملوا أصناف الشدائد.

فهل يا ترى يبلغ الدين في نفوسنا هذه المنزلة؟ وهل يصل إلى هذه المكانة؟

إن فئاماً من المسلمين اليوم يبدون الاستعداد للبذل للدين والمساهمة، لكن حين يشعرون أنه سيترتب على ذلك فوات بعض مصالحهم، أو نزول ضرر وتحمل شدة تتغير الموازين ويتراجع هؤلاء ويلتمسون الأعذار.

---

(١) رواه البخاري (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩)

(٢) رواه البخاري (٤١٠٦) ومسلم (١٨٠٣)

ثناء القرآن عليهم

حيث كان أولئك الشبان في عصر التنزيل، وكان القرآن ينزل في كل مناسبة وحدث فقد كان لهؤلاء نصيب من ثناء القرآن، وثناء القرآن على هؤلاء منه ما كان عاماً لهم ولغيرهم، ومنه ما كان خاصاً ببعض آحادهم.

فمن النوع الأول هناك آيات كثيرة أثنت على أصحاب النبي ﷺ أو على طائفة منهم، وهم داخلون في ذلك، ومنها:-

أ - قوله تعالى ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا لله الحسنى**﴾ (الحديد: ١٠) وفيهم كثير ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل.

ب - قوله تعالى ﴿**لقد رضي ا لله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً**﴾ (الفتح: ١٨) وفي شباب أصحاب النبي ﷺ من بايع تحت الشجرة.

ج - قوله تعالى ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي ا لله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم**﴾ (التوبة: ١٠٠) وقوله ﴿**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا لله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ (الأنفال:٧٤) والآيات في هذا النوع كثيرة في كتاب ا لله.

والنوع الثاني ما نزل في بعضهم خاصة إما ثناءً، أو تصديقاً. ومن ذلك:-

١ - قوله تعالى ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ (العنكبوت: ٨)نزلت هذه الآية في **سعد بن أبي وقاص** -رضي ا لله عنه-

فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه -رضي ا لله عنه- أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن ا لله وصاك بوالديك وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل ا لله عز وجل من القرآن هذه الآية ﴿**ووصينا الإنسان...**﴾ ... الحديث [1] - وأما بقية الآيات فقد كانت حين جاوز سعد - رضي ا لله عنه- المرحلة التي نتحدث عنها-.

إنها صورة من الثبات والصبر حيث تمارس أمه هذا الأسلوب من الضغط والذي تعلم أنه سيؤثر عليه ويصرفه، لكنه -رضي ا لله عنه- يرفض الاستجابة لهذه الضغوط، وهو يواجهها من داخل بيته ومن أقرب الناس لديه، ويصر على تمسكه بدينه وإيمانه با لله سبحانه وتعالى، ومتى كان ذلك؟ كان وسعد -رضي ا لله عنه- دون العشرين من عمره، والأمر لا يزال في بداية الإسلام.

٢ - قوله تعالى ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول ا لله...** ﴾ الآيات (المنافقون: ١) نزلت تصديقاً **لزيد بن أرقم** -رضي ا لله عنه-.

فعنه -رضي ا لله عنه- قال: كنت في غزاة فسمعت عبدا لله بن أبي يقول:لاتنفقوا على من عند رسول ا لله حتى ينفضوا من حوله، ولو رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول ا لله ﷺ إلى عبدا لله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول ا لله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول ا لله ﷺ ومقتك، فأنزل تعالى ﴿**إذا**

(١) رواه مسلم (١٧٤٨)

جاءك المنافقون﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ، فقال: «إن ا لله قد صدقك يا زيد» [١] .

وقد عد أصحاب النبي ﷺ هذه المقولة منه ﷺ شهادة ثناء وتزكية له وأعظم بها من ثناء، فقد قال أنس بن مالك -رضي ا لله عنه- عنه حين حفظ ما لم يحفظه أنس هو الذي يقول رسول ا لله ﷺ:«هذا الذي أوفى ا لله له بأذنه» [٢] .

٣ - قوله تعالى **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** (الأنعام: ٥٢) نزلت هذه الآية في طائفة من أصحاب النبي ﷺ منهم **سعد بن أبي وقاص وابن مسعود** -رضي ا لله عنهما- وكانا من الشباب.

يحدث بذلك سعد -رضي ا لله عنه- إذ يقول: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لايجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال، ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول ا لله ﷺ ما شاء ا لله أن يقع فحدث نفسه فأنزل ا لله عز وجل **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** [٣].

وكم في هذه الآية الكريمة من منقبة لهؤلاء؟ شهادة من ا لله سبحانه وتعالى لهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي، وشهادة لهم بأنهم مخلصون يريدون وجهه، وأمر له ﷺ بلزومهم ومجالستهم.

٤ - قوله تعالى **﴿فانقلبوا بنعمة من ا لله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان ا لله﴾** (آل عمران: ١٧٤) فعن هشام عن أبيه عن عائشة -رضي ا لله عنها- **﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾** (آل عمران: ١٧٢)قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٧٢)
(٢) رواه البخاري (٤٩٠٦)
(٣) رواه مسلم (٢٤١٣)

وأبو بكر لما أصاب رسول ا لله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا، قال: «ومن يذهب في إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً قال: كان فيهم أبو بكر و**الزبير**.[١].

٥ - قوله تعالى ﴿**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً. فأولئك عسى ا لله أن يعفو عنهم وكان ا لله عفواً غفوراً**﴾ (النساء: ٩٩٨-٩٩) ممن نزلت فيه **ابن عباس** ... فعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس -رضي ا لله عنهما- تلا (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال:«كنت أنا وأمي ممن عذر ا لله»[٢].

٦ -﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ (الحج: ١٩) عن **علي بن أبي طالب** -رضي ا لله عنه- قال:«أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم**)، قال:«هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٧٧) ومسلم (٢٤١٨)

(٢) رواه البخاري (٤٥٨٨)

(٣) رواه البخاري(٤٧٤٤)

التوبة

إن المرء مهما بلغ من الإيمان والصلاح والتقوى فإن ذلك لن ينقله أبداً إلى درجة العصمة وعدم مواقعة الذنوب، كما أخبر ﷺ عن هذا المعنى بقوله: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[١].

وحين حضرت أبا أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- الوفاة قال: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول:«لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون يغفر لهم»[٢].

لذا فقد كان أصحاب النبي ﷺ وهم القدوة في الإيمان والتقوى والصلاح، كانوا كما بلغوا الغاية في التوقّي من الذنوب واجتنابها، من التوابين المطهرين وهم أسعد الناس بقوله تعالى ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ (التوبة: ٢٢٢) فمع بعض مواقفهم في المبادرة للتوبة مما قد يواقعون:-

١ - يروي **عبدالله بن عمر** -رضي الله عنهما- قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت له توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: من القوم؟ قال فقلنا: نحن الفرارون، قال: «لا بل أنتم العكارون، أنا فئتكم، وأنا فئة المسلمين» قال: فأتيناه حتى قبلنا يده[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩)
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٨)
(٣) رواه أحمد ٢/ ٧٠ (٥٣٨٣)

٢- وعن خالد بن اللجلاج أن اللجلاج أباه أخبره أنه كان قاعداً يعتمل في السوق، فمرت امرأة تحمل صبياً فثار الناس معها وثرت فيمن ثار، فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقول:«من أبو هذا معك؟» فسكتت، فقال **شاب** حذوها: أنا أبوه يا رسول الله، فأقبل عليها فقال:«من أبو هذا معك؟» قال الفتى: أنا أبوه يا رسول الله، فنظر رسول الله ﷺ إلى بعض من حوله يسألهم عنه فقالوا: ما علمنا إلا خيراً، فقال له النبي ﷺ :«أحصنت؟» قال: نعم، فأمر به فرجم، قال: فخرجنا به فحفرنا له حتى أمكنا، ثم رميناه بالحجارة حتى هدأ، فجاء رجل يسأل عن المرجوم، فانطلقنا به إلى النبي ﷺ فقلنا: هذا جاء يسأل عن الخبيث، فقال رسول الله ﷺ:« لهو أطيب عند الله من ريح المسك» فإذا هو أبوه، فأعناه على غسله وتكفينه ودفنه، وما أدري قال: والصلاة عليه أم لا [1].

٣ - **وأسامة بن زيد** -رضي الله عنهما- يدرك خطورة ما أتاه ويستعظم ذنبه حين قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، فأنكر عليه النبي ﷺ، وأغلظ عليه، هاهو يقول -رضي الله عنه-:«حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» [2].

إنه -رضي الله عنهما- لم يكن ليندم أن بادر بالإسلام، أو أن أدرك تلك المواقف وشهدها مع النبي ﷺ، لكنه شعر بمرارة الذنب وثقل الخطيئة، فتمنى أن لم يفعلها ولو كان البديل لذلك أن يكون أسلم اليوم.

إن إدراك عظم الذنب واستشناعه دليل على صدق الإيمان والخوف من الله تبارك وتعالى، وهو خطوة مهمة للتوبة والإقلاع، وحين يستهين المرء بالذنب ويحتقره فهذا عنوان موت قلبه عافنا الله من ذلك.

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٧٩(١٥٩٤٠) وأبو داود (٤٤٣٥)

(٢) رواه البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦)

الزواج المبكر

لقد أوصى رسول الله ﷺ الشباب وصية جامعة كما رواها ابن مسعود - رضي الله عنه- في قوله: كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [١].

ولهذا بادر هؤلاء الشباب -رضوان الله عليهم-، مع ضيق حالهم لتنفيذ وصية النبي ﷺ فحفظت لنا كتب السير نماذج من مبادرة هؤلاء في الزواج فمن ذلك:-

عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وقصته مشهورة في تزويج أبيه له امرأة من قريش[٢] .

ومنهم **أبو أسيد الساعدي** -رضي الله عنه-، فقد دعا النبي ﷺ في زواجه كما سبق.

ومنهم **جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام** -رضي الله عنهما- وقصته مشهورة، قال: تزوجت امرأة في عهد رسول الله ﷺ ، فلقيت النبي ﷺ فقال:«يا جابر تزوجت؟» قلت: نعم، قال:«بكر أم ثيب؟» قلت: ثيب، قال:«فهلا بكراً تلاعبها؟» قلت: يا رسول الله إن لي أخوات فخشيت أن تدخل بيني وبينهن، قال:«فذاك إذن، إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك» [٣].

ومنهم **أسامة بن زيد** -رضي الله عنهما-، كما في قصة فاطمة بنت قيس -

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠)
(٢) البخاري (٥٠٥٢)
(٣) رواه البخاري (٥٢٤٧) ومسلم (٧١٥) واللفظ له

رضي الله عنها- أن زوجها طلقها ثلاثاً فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكناً ولا نفقة، قالت، قال لي رسول الله ﷺ:«إذا حللت فآذنيني» فآذنته، فخطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ:«أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد» فقالت بيدها هكذا: أسامة أسامة، فقال لها رسول الله ﷺ:«طاعة الله وطاعة رسوله خير لك» قالت: فتزوجته فاغتبطت [١].

ومنهم أيضاً **عمر بن أبي سلمة** الذي ولد قبل الهجرة بسنتين تزوج في حياة النبي ﷺ وقد احتلم، فسأل عن القبلة للصائم[٢].

ومنهم أيضاً **عبدا لله بن أبي حدرد** فقد حدث عن نفسه أنه تزوج امرأة فأتى رسول الله ﷺ يستعينه في صداقها، فقال:«كم أصدقت؟» قال قلت: مائتي درهم، ثم أرسله ﷺ في سرية فأصاب منها [٣].

ومنهم **أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري** فقد أثبت أهل السير لولده يزيد الصحبة.

---

(١) رواه مسلم (١٤٨٠)
(٢) سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٣) وسؤاله عن القبلة في مسلم (١١٠٨)
(٣) رواه أحمد ١١/٦ (٢٣٩٣٩)

حسن الخلق

لقد كان أولئك الشباب مع منزلتهم العالية لدى النبي ﷺ يتمتعون بخلق عال ورفيع، ولا غرو فهم تلامذة معلم البشرية الأول ﷺ أحسن الناس خلقاً، وألطفهم سريرة وقد تعلموا منه ﷺ أن خيار الناس أحاسنهم أخلاقاً.

ولهم أسوة حسنة في النبي ﷺ إذ يصفه أحد الشباب من أصحابه وهو عبدا لله بن عمرو -رضي ا لله عنهما- فيقول: لم يكن رسول ا لله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وإنه كان يقول:« إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»[١].

وقد أعلى ﷺ منزلة حسن الخلق إذ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال:«تقوى ا لله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال:«الفم والفرج» [٢].

وفي ظل ذاك الوسط الذي كان يعطيهم من الرعاية والعناية الشيء الكثير لم يكن ذلك ليفقدهم الوقار وحسن الخلق، ولم يكن ليوجد لديهم الكبر والجرأة على الأكابر، فمع نماذج من حسن خلقهم -رضوان ا لله عليهم-:-

الحياء :

فهاهو **ابن عمر** -رضي ا لله عنهما- يقول: قال النبي ﷺ :«مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ورقها ولا يتحات» فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول: هي النخلة وأنا غلام شاب فاستحييت، فقال:«هي النخلة» وفي رواية : فحدثت به عمر فقال: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من كذا

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٥(ومسلم (٢٣٢١)

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) وأحمد ٢/٣٩٢ (٩١٢٠)

وكذا [١] .

ومثله **سمرة بن جندب** -رضي الله عنه- فهاهو يمنعه الحياء أن يسبق أصحابه بالتحديث فقال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني، وقد صليت وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها» [٢].

واليوم نرى أحدنا حين يعلم في مسألة ما لم يعلمه غيره يبادر إلى الحديث في المجالس، ولو كان غيره سيكفيه، إنها صورة من الرياء عافنا الله تبارك وتعالى منه.

والحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو خير كله، وحين يتحلى به الشاب يتسم بالوقار وهدوء الشخصية والاتزان، ويحمله على أن يدع ما يعاب عليه، ويأتي ما يمتدح به.

وأولى ما يتخلق به الشاب من الحياء أن يستحي من ربه تبارك وتعالى أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

حفظ السر :

لقد كان ﷺ يثق في شباب أصحابه، ويستأمنهم على أمور خاصة، وقد كانوا -رضوان الله عليهم- على مستوى المسئولية في ذلك.

وتبقى تلك الأسرار إلى يومنا هذا قد ماتت مع موت أصحابها، وربما كان البعض منها مهمة إجرائية تتطلب الإسرار في وقتها، لكن البحث في حقيقة هذه الأسرار أمرٌ لا طائل وراءه، فلتبق هذه النصوص خير شاهد على حفظ أولئك للسر وعنايتهم به.

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٢) ومسلم (٢٨١١)

(٢) رواه مسلم (٩٦٤) وهو في البخاري (٣٣٢) دون موضع الشاهد.

عن **أنس** -رضي الله عنه- قال أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال فسلم علينا فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: «والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت» (١).

وفي رواية «أسر إلي نبي الله ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به»(٢).

وحفظ السر ليس خلقاً خاصاً بأنس -رضي الله عنه- فهذا **عبدالله بن جعفر** -رضي الله عنهما- يقول: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل» (٣).

وقد يحلو للبعض أن يتحدث عن بعض الأمور أو المهمات الخاصة التي تربطه ببعض الأكابر، ويصحب هذا الحديث رغبة في التعالي والارتفاع، وربما كان حديثاً فيما لا فائدة فيه، وربما انتهز الفرصة للحديث عن موقف، أو الاستشهاد بشاهد لا لشيء إلا ليذكر صلته ببعض الأكابر، وهو خلق علاوة على ما فيه من إضاعة للسر، يعكس إعجاباً بالنفس، وتشبعاً للمرء بما لم يعط، أما شباب أصحاب النبي ﷺ فلهم شأن آخر.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨٢)

(٢) البخاري (٦٢٨٩) ومسلم (٢٤٨٢)

(٣) رواه مسلم (٣٤٢)

خدمة القوم :

عن **أنس بن مالك** -رضي الله عنه- قال:«أنفجنا أرنباً بمر الظهران فسعوا عليها، حتى لغبوا، فسعيت عليها حتى أخذتها، فجئت بها إلى أبي طلحة، فبعث إلى النبي ﷺ بوركيها أو فخذيها فقبله» (١).

وفي رواية :«كنت غلاماً حزوراً فصدت أرنباً، فشويتها فبعث معي أبو طلحة بعجزها إلى النبي ﷺ فأتيته بها فقبلها» (٢).

وحين كان النبي ﷺ وأصحابه محرمين لا يحل لهم الصيد صاد لهم أحد الشباب حماراً فأطعمهم إياه، وأكل منه رسول الله ﷺ فلنستمع إلى قصته:-

فعن **أبي قتادة** -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ خرج حاجاً فخرجوا معه، فصرف طائفة منهم فيهم أبو قتادة، فقال:«خذوا ساحل البحر حتى نلتقي»، فأخذوا ساحل البحر فلما انصرفوا أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم، فبينما هم يسيرون إذ رأوا حمر وحش فحمل أبو قتادة على الحمر فعقر منها أتاناً فنزلوا فأكلوا من لحمها، وقالوا أنأكل لحم صيد ونحن محرمون، فحملنا ما بقي من لحم الأتان فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا كنا أحرمنا وقد كان أبو قتادة لم يحرم فرأينا حمر وحش فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتانا فنزلنا فأكلنا من لحمها، ثم قلنا: أنأكل لحم صيد ونحن محرمون؟ فحملنا ما بقي من لحمها، قال:«أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟» قالوا: لا، قال:«فكلوا ما بقي من لحمها» (٣).

وهكذا نرى أنه في ميادين السفر والجهاد يهب الشبان من أصحاب النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٥٤٨٩) ومسلم (١٩٥٣)

(٢) رواه أبو داود (٣٧٩١)

(٣) رواه البخاري (١٨٢٤) ومسلم(١١٩٦)

للخدمة والقيام بحقوق إخوانهم فمع موقف آخر لأحدهم هو **جابر بن عبدا لله** - رضي الله عنهما- إذ يقول:-

سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كانت عشية ودنونا ماءً من مياه العرب، قال رسول الله ﷺ :«من رجل يتقدمنا فيمدر الحوض فيشرب ويسقينا؟» قال جابر: فقمت فقلت: هذا رجل يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ :«أي رجل مع جابر؟»، فقام جبار بن صخر، فانطلقنا إلى البئر فنزعنا في الحوض سجلاً أو سجلين، ثم مدرناه ثم نزعنا فيه حتى أفهقناه[1] ، فكان أول طالع علينا رسول الله ﷺ فقال:«أتأذنان؟» قلنا نعم يا رسول الله، فأشرع ناقته فشربت شنق لها فشجت فبالت، ثم عدل بها فأناخها، ثم جاء رسول الله ﷺ إلى الحوض فتوضأ منه[2].

إن خدمة الرفاق والقيام بشأنهم خلق رفيع وأدب جميل، والشرع قد جاء بالثناء على محاسن الأخلاق وذم مساوئها.

بل قد جاء بالثناء على هذا الخلق بالذات يرويه لنا أحد الشباب من الصحابة هو أنس -رضي الله عنه- فيقول: كنا مع النبي ﷺ ، أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي ﷺ :«ذهب المفطرون اليوم بالأجر»[3].

الكرم والسخاء :

إن هذه الأمة لها نسب وصلة بإبراهيم عليه السلام، وقد قص الله تبارك وتعالى علينا في القرآن في أكثر من موضع قصته مع أضيافه وإكرامه لهم حين نحر لهم

---

(١) الفهق: الامتلاء والاتساع (النهاية [٣/٤٨٣])

(٢) رواه مسلم(٣٠١٤)

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٠) ومسلم (١١١٩)

عجلاً حنيذاً.

ويحدثنا أحد الشباب من أصحاب النبي ﷺ عن منزلة الكرم من الإسلام فعن عبدا لله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[١].

ويربط ﷺ الكرم وأداء حق الضيف بالإيمان بالله واليوم الآخر، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[٢].

ووصف **عرابة بن أوس** -رضي الله عنه- أنه كان كريماً جواداً، كان يقاس في الجود بعبد الله بن جعفر وبقيس بن عبادة[٣].

ومضى في الإنفاق في سبيل الله خبر **جابر بن عبدا لله** -رضي الله عنهما- في إضافته لرسول الله ﷺ وأصحابه يوم الخندق[٤].

الإحسان للناس:

إن البعض ممن يحسن خلقه قد يرجو من الناس ثمناً مقابل ما يقدم، أو تدفعه المجاملة للناس إلى مثل هذه المواقف، أما أصحاب الخلق الصادق، الصادر من قلوبهم، الذين يدركون عظم منزلة الخلق الحسن عند الله سبحانه وتعالى فلهم شأن آخر.

فيمتد الخلق الحسن عندهم في التعامل مع الناس إلى ما بعد مماتهم، فقد قدم

---

(١) رواه البخاري (٢٨) ومسلم (٣٩)

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧)

(٣) أسد الغابة (١٨/٤)

(٤) انظر ص (٧٥)

شخص ليصلي عليه النبي ﷺ فحين سأل عنه قيل إن عليه ديناً، فرق له أحد شباب أصحاب النبي ﷺ وهو **أبو قتادة** -رضي الله عنه-، فعن عبد الله بن أبي قتادة يحدث عن أبيه أن النبي ﷺ أتي برجل ليصلي عليه فقال النبي ﷺ :«صلوا على صاحبكم فإن عليه ديناً»، قال أبو قتادة: هو علي، فقال رسول الله ﷺ :«بالوفاء؟» قال: بالوفاء، فصلى[1].

وليس بغريب هذا الخلق على أبي قتادة -رضي الله عنه- وهو الذي ينظر المعسر ممن عليه له دين فعن عبد الله بن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، فقال: آلله؟ قال: آلله؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:«من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» [2].

كظم الغيظ :

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى على طائفة من عبادة، ووصفهم بصفة من مكارم الأخلاق هي كظم الغيظ فقال ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس...**﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤) .

وحين تقرأ سير القوم فلن تعدم من أولئك الشباب من يتحلى بهذه الخصلة.

قال سعيد بن عبد العزيز: «فَضَلَ **شداد بن أوس** الأنصار بخصلتين: ببيان إذا نطق، وبكظم إذا غضب»[3].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٦٩)والنسائي (١٩٦٠) وابن ماجه (٢٤٠٧)

(٢) رواه مسلم(١٥٦٣)

(٣)سير أعلام النبلاء (٤٦٤/٢)

إن الناس في هذه الحياة المليئة بالمواقف المتلاطمة، والأهداف المتناقضة لا يعدم أحدهم أن يواجهه موقف يثير حميته ويستثير غضبه، ومن هنا كانت الشجاعة الحقة، وكان الرجل الشديد حقاً هو الذي يملك نفسه عند الغضب، لذا نبه ﷺ على هذا المعنى فقال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١].

ويصوره في الحديث الآخر تصويراً أكثر تفصيلاً فيقول : «تدرون ما الرقوب؟» قالوا: الذي لا ولد له، فقال:«الرقوب كل الرقوب، الرقوب كل الرقوب، الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات و لم يقدم منهم شيئاً» قال: «تدرون ما الصعلوك؟» قالوا: الذي ليس له مال قال النبي ﷺ :«الصعلوك كل الصعلوك، الصعلوك كل الصعلوك، الذي له مال فمات و لم يقدم منه شيئاً» قال: ثم قال النبي ﷺ:«ما الصرعة؟» قالوا: الصريع قال فقال رسول ا لله ﷺ: «الصرعة كل الصرعة، الصرعة كل الصرعة: الرجل يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه» [٢].

يستطيع المرء أن يعلو صوته، ويشتد وعيده، ويرهب من حوله سورةَ غضبه، لكن يجب أن يعلم أن الانتصار الحقيقي، والشجاعة الحقة في كظم الغيظ، وهو سلوك يحتاج إلى أن تروض النفوس وتربى عليه، ولن يمكن غرسه في النفوس بمجرد الأمر والتوجيه.

إن الشاب الحريص على تربية نفسه لابد أن يعنى بتعويدها على هذه الآداب، وأخذها بهذه السجايا، فحين يتقدم به العمر تتحول إلى جزء من حياته يصعب اقتلاعها بعد ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩)
(٢) رواه أحمد٥/٣٧٥ (٢٣١٧٨)

القناعة وعفة النفس :

ويضرب شباب أصحاب النبي ﷺ المثل في القناعة وعفة النفس مع عظم الحاجة والفاقة التي كانوا عليها، فلنستمع من أحدهم -رضي الله عنه- إلى أحد مواقفه :-

عن هلال بن حصن قال: نزلت على **أبي سعيد الخدري** فضمني وإياه المجلس، قال: فحدث أنه أصبح ذات يوم وقد عصب على بطنه حجراً من الجوع، فقالت له امرأته أو أمه ائت النبي ﷺ فاسأله، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه وأتاه فلان فسأله فأعطاه، فقال: قلت: حتى ألتمس شيئاً، قال: فالتمست فأتيته، قال حجاج: فلم أجد شيئاً، فأتيته وهو يخطب فأدركت من قوله وهو يقول:«من استعف يعفه الله، ومن استغنى يغنه الله، ومن سألنا إما أن نبذل له وإما أن نواسيه -أبو حمزة الشاك- ومن يستعف عنا أو يستغني أحب إلينا ممن يسألنا» قال فرجعت فما سألته شيئاً، فما زال الله عز وجل يرزقنا حتى ما أعلم في الأنصار أهل بيت أكثر أموالاً منا [1].

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٤(١١٤٠٧)

محبة النبي ﷺ وخدمته

إن محبة النبي ﷺ منزلة عالية من منازل الإيمان بل إن المرء لن يذوق حلاوة الإيمان ولذته حتى يحقق هذا الأمر، بل حتى يكون للنبي ﷺ في قلبه من المحبة ما ليس لغيره من البشر، كما يروي ذلك أحد الشباب من أصحاب النبي ﷺ عنه وهو أنس -رضي الله عنه- « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(١).

وحيث كان رضي الله عنه راوي هذا الحديث فقد كان أولى الناس بالعمل به، فيحكي -رضي الله عنه- عن منزلة النبي ﷺ لديه فيقول«قل ليلة تأتي علي إلا وأنا أرى فيها خليلي عليه السلام» وأنس يقول ذلك وتدمع عيناه(٢).

ولم تكن هذه المحبة للنبي ﷺ قاصرة على مشاعر جياشة، بل كانت تترك أثرها في سلوكهم وحياتهم، فكانوا من أحرص الناس على اتباعه ﷺ، ومن صور عنايتهم باتباعه ﷺ:-

١- ما حكاه **ابن عمر** -رضي الله عنهما- عن نفسه في قوله: «ما أتيت على الركن، منذ رأيت رسول الله ﷺ يمسحه في شدة ولا رخاء إلا مسحته» (٣).

٢ - وكان -رضي الله عنه- يكره الاشتراط في الحج ويقول: «أما حسبكم بسنة نبيكم ﷺ أنه لم يشترط» (٤).

٣ - وعن نافع رحمه الله عن **ابن عمر** -رضي الله عنهما- قال: قال رسول

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣)

(٢) رواه أحمد (٣/٢١٦) بإسناد ثلاثي

(٣) رواه أحمد ٢/٤٠ (٤٩٨٥)

(٤) رواه أحمد ٢/٣٣ (٤٨٨٠)

ا لله ﷺ:«لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع:فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[١].

٤ – وحين روى حديث النبي ﷺ في الوصية : «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» قال عبد ا لله بن عمر:« ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول ا لله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي»[٢].

٥ – ما يحكيه حذيفة –رضي ا لله عنه– عن **عبدا لله بن مسعود** –رضي ا لله عنه– إذ يقول:«إن أشبه دلاً وسمتاً وهدياً برسول ا لله ﷺ لابن أم عبد حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا» [٣].

وفي رواية للترمذي «ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد هو من أقربهم إلى ا لله زلفى» [٤].

٦ – وهاهو أحدهم –رضي ا لله عنه– لا يدع سنة حفظها عن النبي ﷺ فعن **زيد بن خالد الجهني** قال قال رسول ا لله ﷺ :«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» قال: فكان زيد يروح إلى المسجد وسواكه على أذنه بموضع قلم الكاتب ما تقام صلاة إلا استاك قبل أن يصلي [٥].

٧ – ويحدثنا **أنس بن مالك** –رضي ا لله عنه–: أن خياطاً دعا رسول ا لله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: «فذهبت مع رسول ا لله ﷺ إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول ا لله ﷺ خبزاً ومرقاً فيه دباء وقديد فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من

---

(١) رواه ابن سعد، وانظر سير أعلام النبلاء (٢١٣/٣)
(٢) رواه مسلم (١٢٧) وهو عند البخاري دون موضع الشاهد
(٣) رواه البخاري (٦٠٩٧)
(٤) الترمذي (٣٨٠٧)
(٥) رواه أحمد ١٩٣/٥ (٢١٧٤١) والترمذي (٢٣) وأبو داود (٤٧)

حوالي القصعة قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ» (١).

ويتكرر الموقف نفسه مع شاب آخر هو **جابر بن عبد الله** -رضي الله عنهما- فحين سمع النبي ﷺ يقول عن الخل: «فإن الخل نعم الأدم» قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله ﷺ (٢).

فإذا كانت هذه حالهم مع أمور الطعام والشراب، فما سوى ذلك أولى، لاسيما وهم أهل الفقه والعلم.

والحب في الله والبغض في الله أمر له صلته بمحبة النبي ﷺ، بل جمع بينهما ﷺ في حديث واحد، وحين يحب المرء رسول الله ﷺ محبة حقيقية فسيظهر أثر هذا الحب في نظرته للناس، ومن يحب منهم ويبغض، فتتحقق لديه الصفة الثانية «وأن يحب المرء لايحبه إلا لله».

ولذلك حين قال عمر بن الخطاب **لسعيد بن العاص** -رضي الله عنهما- «لم اقتل أباك وإنما قتلت خالي العاص بن هاشم وما أعتذر عن قتل مشرك» قال له سعيد: «ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل» (٣).

خدمته ﷺ :

عن **أنس** -رضي الله عنه- قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم فأخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلامٌ كيس فليخدمك، قال فخدمته في السفر والحضر ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟ (٤).

(١) رواه البخاري (٢٠٩٢) ومسلم (٢٠٤١)
(٢) رواه مسلم (٢٠٥٢)
(٣) أسد الغابة (٢/٤٨١)
(٤) رواه البخاري (٢٧٦٨) ومسلم (٢٣٠٩)

وكان من خدمته -رضي الله عنه- له ما يحكيه في قوله:«كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا إداوة من ماء يعني يستنجي به» [١].

ولهذا قال أبو الدرداء -رضي الله عنه- :«أليس فيكم صاحب النعلين والطهور والوساد؟» [٢].

وهاهو **ابن عباس** -رضي الله عنهما- يقول : كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل، فقالت له ميمونة: وضع لك هذا عبد الله بن عباس، فقال:«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» [٣].

وكان من يخدمه ﷺ وهو غلام **بكر بن الشداخ الليثي** -رضي الله عنه[٤].

وممن كان يخدمه أيضاً **أسماء بن حارثة، وأخوه هند** -رضي الله عنهما- كما قال أبو هريرة -رضي الله عنه- :«ماكنت أرى هنداً وأسماء ابني حارثة إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول لزومهما بابه وخدمتهما إياه»[٥].

واليوم لم يعد بإمكان أحد القيام بهذا العمل الفاضل، لكن يبقى له محبة النبي ﷺ، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه، والذب عنه.

شاب يحمي النبي ﷺ :

إن خدمة النبي ﷺ لم تكن متوقفة عند هؤلاء الشباب على أمر أو طلب، بل إنهم يبادرون إليها دون تكليف كما فعل **أبو قتادة** -رضي الله عنه-:-

عن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:« إنكم تسيرون عشيتكم

---

(١) رواه البخاري (١٥٠) ومسلم (٢٧١)
(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الطهارة باب من حمل معه الماء لطهوره
(٣) رواه أحمد ١/٣٣٥ (٣١٠١)
(٤) الإصابة (١/٤٥٣)
(٥) رواه الحاكم، وانظر الإصابة (١/٢١٧)

وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً»، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد، قال أبو قتادة: فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل وأنا إلى جنبه قال: فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل، فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال: «من هذا؟»، قلت: أبو قتادة، قال: «متى كان هذا مسيرك مني؟»، قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة، قال: «حفظك الله بما حفظت به نبيه»، ثم قال: «هل ترانا نخفى على الناس؟»، ثم قال: «هل ترى من أحد؟» قلت: هذا راكب، ثم قلت: هذا راكب آخر، حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب، قال: فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضع رأسه، ثم قال: «احفظوا علينا صلاتنا» فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، قال : فقمنا فزعين، ثم قال: «اركبوا»، فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء قال: فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء، قال: وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: «احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ»، ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال: وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: «أما لكم في أسوة؟» ثم قال: «أما إنه ليس في النوم تفريط؛ إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها» ثم قال: «ما ترون الناس صنعوا؟» قال: ثم قال: «أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر:

رسول الله ﷺ بعدكم لم يكن ليخلفكم، وقال الناس إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا» قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله، هلكنا، عطشنا، فقال:«لا هلك عليكم»، ثم قال:«أطلقوا لي غمري»، قال: ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ :«أحسنوا الملأ، كلكم سيروى» قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي:«اشرب» فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال:«إن ساقي القوم آخرهم شرباً»، قال: فشربت وشرب رسول الله ﷺ ، قال: فأتى الناس الماء جامين رواء، قال: فقال عبد الله بن رباح: إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع إذ قال عمران بن حصين: انظر أيها الفتى كيف تحدث فإني أحد الركب تلك الليلة قال: قلت فأنت أعلم بالحديث، فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار، قال: حدث فأنتم أعلم بحديثكم قال فحدثت القوم فقال عمران لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته [١].

---

(١) رواه مسلم (٦٨١)

الخاتمة

وبعد هذه الجولة مع سير شباب أصحاب النبي ﷺ أشعر أن هناك أمراً لابد من الانتباه له، ومدخلاً لابد من الحذر منه، إذ قد يدفع الشيطان بعض الشباب بعد قراءة هذه النماذج والاطلاع عليها إلى الإعجاب بالنفس، والشعور بأنه قادر على أن يصل إلى ماوصل إليه السابقون.

وهناك فرق دقيق بين ثقة الإنسان بنفسه وتطلعه إلى المراتب العالية، وبين الإعجاب بالنفس والظن بها أنها بلغت مبلغ الأكابر.

إذ الثقة بالنفس تدفع الإنسان للعمل، وتقضي على هاجس الخوف من الفشل الذي سيطر على كثير من المسلمين اليوم فقعد بهم عن القيام بالأعمال الخيرة، ففوتوا على أنفسهم الفرص ومواطن الخير.

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على طائفة من عباده بأنهم يسارعون ويسابقون بالخيرات، ولاشك أن مجالات الدعوة وتقديم الخير للناس مما ينبغي أن يتنافس ويتسابق فيه، وهاهم سلف الأمة مع مقتهم لأنفسهم كانوا سباقين في الخير ونصرة الدين والجهاد في سبيل الله.

ثم مع ذلك ينبغي للمرء أن ينظر إلى تقصيره وتفريطه وإهماله، وينبغي أن يكون على خوف ووجل، وألا يأمن العقوبة والزيغ.

ولهذا قال أحد أصحاب النبي ﷺ كلمة ما أجمل أن تكون لنا شعاراً: «وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً» (١).

وقيل لعائشة -رضي الله عنها-: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظن أنه

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٧)

محسن.

وقال مطرف -رحمه الله-: لئن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.

وفي ختام هذا الجهد أشعر بالتقصير في أداء هذا الواجب، وأن هناك جوانب كثيرة تحتاج لمراجعة وإتقان، لكني أعلم أني إن سعيت إلى ذلك فسيتأخر هذا البحث، وتحول دونه المشاغل والمصاعب، فآثرت أن يخرج بهذا المستوى على أمل أن تتيسر المراجعة له مع الاستفادة مما يردني من ملحوظات واستدراكات.

وأسأل الله أن يرزقنا محبة أصحاب نبيه ﷺ، والاقتداء بهم، وأن يحشرنا معهم يوم العرض الأكبر، وألا تقعد بنا ذنوبنا وأنفسنا الضعيفة؛ إنه سميع مجيب.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم

المحتويات